

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

قسم التاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماستر - تخصص تاريخ المغرب الأوسط الوسيط موسومة بـ

الأوضاع الثقافية والفكرية

بالمغرب الأوسط

في عهد الموحدين

(533هـ-633هـ/1138م-1235م)

إشراف الأستاذة:

طيب بوجمة . ن.

إعداد الطالبات:

توراك خديجة.

حسام نصرية.

زادود نور الهدي.

أعضاء اللجنة

رئيساً: مرجاني ع القادر:

مشرفاً: طيب بوجمة نعيمة:

مناقشاً: حاج عيسى إلياس:

السنة الجامعية 2016/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

﴿وَمَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ سورة النساء آية
.147

الحمد لله الذي فضلنا على سائر مخلوقاته بالعقل ووقفنا في إنجاز هذا
العمل المتواضع لنفيد به غيرنا

نتقدم بجزيل الشكر لأستاذتنا المشرفة طيب بوجعة نعيمة التي وجهتنا
بطيب خاطر ولم تبخل علينا بنصائحها لنا رغم كثرة التزاماتها
ومسؤولياتها، فنحن نتمنى لها المزيد من النجاحات في حياتها.

كما نشكر جميع أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة
أساتذة قسم التاريخ ونشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل ولو
بكلمة.

إهداء



أهدي هذا العمل المتواضع إلى أعلى
ما رزقنا به الله سبحانه وتعالى
وجعل الجنة تحت أقدامها وهي أمي الغالية حفظها الله
التي ساندتني في حياتي وقدمت لي العون ودعم
وكانت دائمة الصبر والدعاء لي بالنجاح والتوفيق في دراستي
ولا أنسى أبي الغالي منير حياتي أرجو من المولى عز وجل
أن يمد بعمره وأخوتي ورابع، نوال وسماح يوسف قدما لي الدعم
حفظهم الله لي وكل صديقاتي بأخص نور الهدى وخديجة.



نصريفة

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى أعز الناس، إلى من تعب وعمل وساندني ماديا ومعنويا

وشجعتني على تحقيق النجاح والجدّ في الدراسة والوصول إلى أهداف

وأمنياتي أبي الغالي حفظه الله وأطال الله في عمره.

إلى من ربّنتي وسهرت من أجلي ومنحتني رعايتها وحبها وكانت سببا في سعادتي

أمي الغالية رعاها الله وأطال الله في عمرها.

إلى أخي العزيز أحمد الذي كان سندا وعونا لي في مساري الدراسي.

إلى أختي ياقوتة وفاطمة الغاليتين. وإلى كلّ عائلة توراك.

إلى كلّ من عرفته في حياتي العلمية صديقاتي: فتيحة، ومخاطرية ونور الهدى، ونصرية

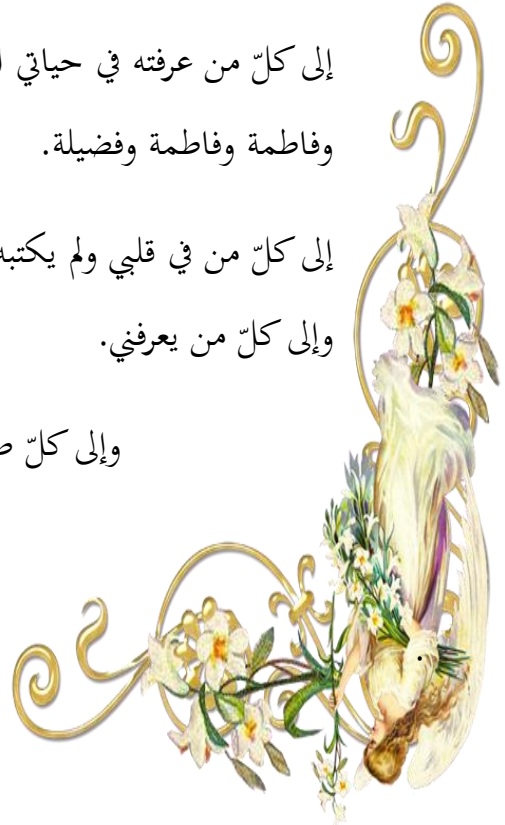
وفاطمة وفاطمة وفضيلة.

إلى كلّ من في قلبي ولم يكتبه قلبي وإلى كل من في ذاكرتي ولم تذكره مذكري.

وإلى كلّ من يعرفني.

وإلى كلّ طلبة السنة الثانية ماستر تخصص تاريخ.

خد يرجة



إهداء



الحمد لله الذي اجري الأمور على مشيئته وتقديره
وبعد سنوات من الجهد والمثابرة تم قطف ثمرة ممن ثمار النجاح
الذي أسأل الله عزو جل أن يكون عملا يرفع وعلمنا ينفع
ولهذا أهدي نجاحي الى القلوب الواسعة اتساع البحر والى الصدر الحنون
الذي كان له الفضل الكبير في المساندة وانارة الطريق الذي تكلم
بالنجاح بدعائها وصبرها الدائم التي لا يمكن للكلمات أن توفي حقها أمي الغالية
والى مصباحي أفكاري الذي ذلل لي الصعاب وأراد لي العلم والنجاح أبي الغالي
الى من جمعني بهم نظرة الأخوة الى أخوتي خليفة حنان وأمال خلدية،
وناصر اليكم من جمعني بكم صداقة فاطمة قروج أسماء أمال حكيمة عطيل خيرة الى
كل من أحبوني والى كل خريجي قسم التاريخ السنة الثانية ماستر



نور الهدى

تح : تحقيق.

تع: تعليق.

تق: تقديم.

مر: مراجعة.

تر: ترجمة.

ط: طبعة.

د.ط: دون طبعة.

د.د.ن: دون دار نشر.

د.ت.ن: دون تاريخ نشر.

مج: مجلد.

ج: جزء.

ص: صفحة.

ع: عدد.

ت: توفي.

م: ميلادي

ه: هجري.

//: إسم المؤلف نفسه في قائمة المصادر والمراجع.

حققت حقيقة

يعد العلم والمعرفة من أهم المبادئ الأساسية لقيام أي حضارة، وأصبح له دور فعال في ازدهار ورقي كثير من الحضارات، وهذا ما شهدته القرن 6هـ/12م، الذي يعتبر مرحلة من أهم مراحل النشاط الفكري التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي، التي شاهدها في حقبة زمنية ماضية، حيث كان مسرحاً لقيام العديد من الدويلات بدءاً بالرسومية والدولة العبيدية، الحمادية، المرابطية، ليأتي بعد ذلك زمن الموحدين الذين جعلوا من هذا الحيز الجغرافي قبلة للكثير من العلماء والمهتمين بالعلم، وإعلان ثورة علمية مسجلة بأقلام عربية، عصر سمي بعصر الموسوعات العلمية والأدبية، ولعلنا آنذاك في سماء الموحدين شخصيات فكرية لها همة لم تفتقر، وإدارة لم تكسر، يسلمونها من جيل إلى جيل.

بيد أنّ دراسة الأوضاع الثقافية والفكرية ببلاد المغرب الأوسط نالت عناية شديدة من قبل الباحثين رغم قلة المادة العلمية التي دونت في هذا المجال، فضلاً عن الصعوبة والمشقة في معرفة أهم الأوضاع المتعلقة بهذه الحضارة، وعلى الرغم مما اكتنفته الدولة الموحدية خلال 533هـ_633هـ/1138م_1235م من أحداث إلا ونجدده عصر متواصل موروث عن حضارة الحماديين ليتم الحفاظ على هذا التراث الذي برز في هذه البلاد تحت لواء دولة لها كلمة مسموعة على مستوى المغرب الإسلامي والتي أصبح لها وزن ثقيل في مجريات الأحداث سواء السياسية، والعسكرية، الثقافية والفكرية. وقد وجدت بعض الدراسات التي تناولت موضوع الأوضاع الثقافية والفكرية ببلاد المغرب الأوسط عهد الموحدين منها مذكرة ماجستير من قبل الطالب علي عشي التي كان عنوانها المغرب الأوسط في عهد الموحدين دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534هـ-1139م/633هـ-1235م).

فالموحدون قاموا بتأسيس حضارة بالمغرب الأوسط كانت من أرقى الحضارات في الثقافة والفكر وعليه نطرح الإشكال التالي: فيما تمثلت مظاهر التقدم والازدهار لبلاد المغرب الأوسط زمن الموحدين في مجال الثقافة والفكر؟

- فهذه الإشكالية الرئيسية يندرج تحتها مجموعة من التساؤلات: - ماهي أهم العوامل التي ساهمت في ذلك؟ - وماهي أبرز الحواضر والمؤسسات العلمية التي عرفت بدور العلم والحكمة؟

- ومن هم أبرز العلماء الذين نبغوا في مختلف العلوم بالمغرب الأوسط في تلك الفترة؟

ومن أهم الدوافع التي أدت بنا إلى دراسة موضوع الأوضاع الثقافية والفكرية ببلاد المغرب الأوسط عهد الموحدين أولاً: بعض الدراسات اهتمت بالجانب السياسي والاقتصادي وأهملت الجانب الثقافي للدولة الموحدية.

ثانياً: دولة الموحدين كان مركزها بالمغرب الأقصى وهذا ما أدى إلى الاهتمام بما أجزته في هذا الإقليم فقط دون التطرق إلى منجزات الأقاليم الأخرى مثل: المغرب الأوسط فأردنا إبراز ما قدمه للحضارة الموحدية من خلال إظهار أهم المنشآت والعلوم والعلماء التي برزت به.

رغم الجهود المبذولة في موضوعنا المنجز إلا أنه واجهتنا جملة من الصعوبات منها: قلة المادة العلمية التي تناولت هذا الموضوع، بالإضافة إلى عدم القدرة على ضبط حدود بلاد المغرب الأوسط كإقليم قائم بذاته، دون أن ننسى صعوبة تصنيف العلماء الذين لمعوا في جلة من العلوم ببلاد المغرب الأوسط فلم يكن إبرازهم في مجال معين فقط بل تعداه إلى مجال آخر.

وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي المبني على السرد والتحليل وذلك لإبراز وترتيب الأحداث التاريخية والفترات الزمنية، بالإضافة إلى تحليل الوقائع التاريخية من خلال إطلاعنا على العديد من المصادر والمراجع مثل مرحلة الفتح وتأسيس الحواضر، واعتمدنا أيضاً على المنهج الوصفي الذي تمثل في وصف أهم المؤسسات الثقافية التي عرفت في تلك الفترة.

وكان إنجاز موضوعنا استناداً على جملة من المصادر والمراجع منها:

المصادر التاريخية: وفي مقدمتها:

1- كتاب تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم ج6: لعبد الرحمان ابن خلدون (732هـ-808هـ / 1332م-1406م) الذي يعد من أبرز المؤلفات التي تؤرخ لتاريخ الشعوب والقبائل منذ عهود سبقت، فابن خلدون يحاول من خلال كتابه التدقيق في نسب القبائل ودورها في بناء الحضارات والدول على حد سواء فرغم صعوبة الأسلوب واللغة إلا أنه يعد مصدر مهم يمكن الاعتماد عليه في كتابة التاريخ، فكان له دور فعال في تحديد أهم التواريخ لبلاد المغرب الأوسط زمن الموحدين، بالإضافة إلى رحلة ابن تومرت، والتعريف بأهم القبائل.

2- كتاب المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب: لأبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق الذي يعد من أهم المؤلفات التي يعتمد عليها في كتابة تاريخ الموحدين نظرا لمكانة مؤلفه كرفيق من رفقاء المهدي ابن تومرت، وزميل الخليفة عبد المؤمن بن علي وكتابه له أهمية كبيرة بحكم أنه يعد كشاهد عيان بل ساهم في تأسيس الدولة الموحدية، وشارك في تأييد حركة المهدي ابن تومرت بقلمه، فما كتبه له عظيم الأهمية من الوجهة التاريخية بحكم ما يحتويه من بيانات عن التنظيم السياسي للحركة الموحدية فهذا الكتاب له وزن كبير حيث أفادنا بجملة من المعلومات مثل: نسب المهدي بن تومرت والخليفة عبد المؤمن بن علي.

3- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: لابن الخطيب تحدث فيه عن الدولة المرابطية والدولة الموحدية من خلال ذكر ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي الذي أفادنا في معرفة كيفية اهتمام الخليفة عبد المؤمن بالعلم والعلماء وفتح لبجاية.

4- المعجب في تلخيص أخبار المغرب: لعبد الواحد المراكشي تحقيق محمد سعيد العريان الكتاب الثالث، مؤلفه عاش في القرن السابع الهجري والذي يعد تعريفا لأهل المشرق بأحوال المغرب، فهو كتاب شامل له قيمة ووزن تاريخي خاصة من خلال تفصيله لتاريخ دولة الموحدين ووصفها وصفا دقيقا من سرد وتسلسل وانسجام في الأحداث التاريخية، فهو مرجع أصيل من

المراجع التاريخية لدولة الموحدين لا يمكن الاستغناء عنه، فقد أفادنا في التعرف على مسيرة المهدي ابن تومرت وولاية عبد المؤمن بن علي وأهم إنجازاته ببلاد المغرب الأوسط في مجال الثقافة والفكر.

5- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار وملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس: لابن أبي

زرع الفاسي يعد هذا الكتاب من أهم المؤلفات في تاريخ المغرب عامة وتاريخ مدينة فاس خصوصا كما يدل عليه اسمه، يمتاز هذا الكتاب بالشمولية ووفرة الأخبار وهذا ما ساعدنا على معرفة أهم المعلومات حول زحف دولة الموحدين إلى بلاد المغرب الأوسط وأهم إنجازاتها خاصة في مرحلة فتح تلمسان وبالضبط مرحلة حكم عبد المؤمن بن علي.

كتب الرحالة الجغرافيين:

1- كتاب معجم البلدان: لياقوت الحموي يحتوي هذا الكتاب على خمس مجلدات، فهو معجم

جغرافي ضم جملة من البلدان والمدن والقرى والجبال والأنهار فهو مرجع أساسي في المجال الجغرافي للكثير من العلماء، فقد أفادنا هذا المعجم في معرفة وتحديد موقع بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة مع محاولة استنباط مواقع المدن الموجودة في المغرب الأوسط مثل وهران وتلمسان وجزائر بني مزغنة وقسنطينة.

2- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب: لأبي عبيدة البكري ت487 هـ تحدث في كتابه

عن القرى والمدن من مصر إلى برقة والمغرب أفادنا في وصف أغلب حواضر بلاد المغرب الأوسط التي تناولها موضوعنا من تلمسان ووارجلان وبونة وتيهرت.

3- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: للشريف الإدريسي الذي يعتبر مصدر مهم لأنه عاش

الفترة الموحدية وهو يعتبر شاهد عيان، قدم لنا وصفا للمدن والقرى التي زارها من بينها حواضر المغرب الأوسط.

4- كتاب وصف إفريقيا: لحسن الوزان، كتاب شامل ذكر فيه الكثير من المدن والقرى والأنهار

والحيوانات والنباتات الموجودة في إفريقيا، فهو مصدر أساسي يعتمد عليه في تحديد أهم المواقع والمدن بالإضافة إلى وصفه، وهذا ما تطرقنا إليه في بحثنا من وصف العديد من المدن مثل القيروان

وسوسة التي تم تناولها في المدخل بالإضافة إلى وصف الحواضر مثل تلمسان وبجاية، وقسنطينة ووهران.

كتب التراجم:

- 1- كتاب أعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: لخير الدين الزر كلبي يعد من أهم المعاجم التي يتم الاعتماد عليها في تعريف الشخصيات التاريخية من أدباء وشعراء... الخ، أفادنا في ترجمة أغلب الشخصيات الموجودة في المغرب الأوسط زمن الموحدين من بينهم أحمد التيفاشي وأحمد البوني وابن الياسمين.
- 2- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: لأبي العباس الغبريني 644هـ-714هـ، يعد من أهم المصادر التاريخية في القرن السابع الهجري في بجاية يحتوي هذا الكتاب على جلة من تراجم العلماء والأدباء والشعراء الذين تعاقبوا على هذه المدينة أمثال أبي مدين شعيب، وميمون بن جبارة ومحمد بن أبي بكر المنصور القلعي وغيرهم الذين عاصروا الدولة الموحدية وكان لهم دور في نشر العلوم وتلقينها.
- 3- البستان في ذكر أولياء وعلماء تلمسان: لابن مريم الشريف التلمساني هذا الكتاب عبارة عن تأليف جمع فيه أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء منها والأموات، ساعدنا هذا المصدر في ترجمة العديد من الشخصيات التاريخية التي لمعت في فترة الموحدين مثل أبي مدين شعيب ومحمد الاشبيلي.

المراجع:

- 1- الحضارة الموحدية: لمحمد المنوني، مرجع مهم ذكر العديد من الأحداث والوقائع التاريخية لدولة الموحدين، فقد أحصى جملة من العلوم كعلم اللغة وعلم الجغرافيا بالإضافة إلى إحصائه للعديد من المراكز الثقافية بالمغرب الأوسط كالمكتبات والمدارس.

2- كتاب مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين: لجمال أحمد طه، هو مرجع أساسي

يعتمد عليه في معرفة الأحداث بمدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين في كل المجالات، فقد استقيننا منه العديد من المعلومات فيما يخص العلوم منها علم الكلام وعلم الأدب... الخ.

3- كتاب تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج4: لحسن إبراهيم حسن

تناول هذا الكتاب العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس إلا أنه أفادنا في التعريف بأهم المراكز الثقافية بصفة عامة وزوايا ورباطات وكتاتيب ومدارس وضبط تاريخ ظهورها من أجل التسلسل في الأحداث، فهو قاموس لترجمة هذه المصطلحات.

قسمنا بحثنا إلى مقدمة تطرقنا فيها إلى التعريف بالموضوع بشكل عام ثم مدخل تحدثنا فيه عن لفظ المغرب وحدوده ثم المغرب الأوسط مشيرين إلى الوضع الثقافي والفكري الذي كان سائدا فيه قبل قيام دولة الموحدين، وإلى فصلين فالفصل الأول عنوانه بواقع النشاط الثقافي والفكري بالمغرب الأوسط زمن الموحدين وتضمن ثلاث مباحث، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى عوامل ازدهار النشاط الثقافي والفكري بالمغرب الأوسط والمبحث الثاني تحدثنا فيه عن الحواضر العلمية مبرزين مكانة كل واحدة وما يميزها عن الأخرى من خلال ذكر علمائها ومساجدها وأما المبحث الثالث كان عنوانه المراكز التعليمية تطرقنا فيه إلى الكتاب والمساجد والرباط والزوايا والمدارس مبرزين دورها في ازدهار الحضارة الموحدية، أما بالنسبة إلى الفصل الثاني فعنوانه أهم العلوم والعلماء بالمغرب الأوسط الموحدية قسمناه إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول عنوانه العلوم النقلية تحدثنا فيه عن علم القراءات الذي يعد أول علم أنشأ في هذا المجال وعلم الحديث وعلم التفسير وغيرها، فكل هذه العلوم ساهمت بدرجة كبيرة في تلقين أهم علم وهو القرآن والمبحث الثاني خصصناه إلى العلوم العقلية تطرقنا فيه إلى علم التاريخ وعلم الجغرافيا والفلسفة التي حظيت بمكانة كبيرة لدى الموحدين والرياضيات، أما المبحث الثالث عنوانه بالعلماء أبرزنا فيه أهم الشخصيات التي كانت لها إنجازات بارزة، وخاتمة كانت حوصلة للموضوع كما أضفنا بعض الملاحق لها علاقة بالموضوع كالصور.

مدخل

الأوضاع الثقافية والفكرية

بالمغرب الأوسط قبيل الموحدين

من أجل معرفة أي منطقة، لابد من التطرق إلى دراسة شاملة حول المجال الجغرافي الذي يعد من إحدى الثوابت الأساسية المهمة في الدراسة التاريخية، وعنصرها هاما في ضبط وتحديد المعالم، والحدود لأي مكان نريد معرفته، فكانت بلاد المغرب المحور الأساسي الذي نحن بصدد دراسته، وضبطه كمصطلح، ووحدة جغرافية قابلة للدراسة.

لهذا يجب التمعن أولا في تحديد المغرب كمصطلح بالدرجة الأولى، وذلك حسب آراء المؤرخين والرحالة الجغرافيين، وفي هذا الصدد يؤكد ابن خلدون لفظ المغرب بقوله: "اعلم أنّ لفظ المغرب في أصل وضعه اسم إضافي يدل على مكان من الممكنة بإضافته إلى جهة المشرق، ومشرق بإضافته إلى جهة المغرب"⁽¹⁾، في حين نجد كلا من الجغرافيين والمؤرخين عند الحديث يحددونه بأنه لفظ أو مصطلح (المغرب) اصطلاحا شمال إفريقيا⁽²⁾.

في حين نجد تسمية المغرب ترجع إلى العرب القدماء، حيث يعني الاسم "مكان غروب الشمس" إذ أنهم اعتقدوا حينها أنّ الشمس تغرب من تلك الناحية من العالم، ويشير المؤرخون العرب في العصر الوسيط على أنّ استعمال لفظ "المغرب" هو للدلالة على جميع المناطق التي تشكل المغرب العربي حاليا: أي تونس والجزائر، والمغرب، وكانوا يقسمون هذه المناطق إلى ثلاثة أقاليم: المغرب الأدنى، المغرب الأوسط والمغرب الأقصى⁽³⁾.

¹ ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون). مر: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/2000م، ج: 6، ص: 128.

² حسنين إبراهيم محمد، تاريخ الإسلام في المغرب العربي. دار التعليم الجامعي للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د. ط، 2015، ص: 39.

³ المرجع نفسه، ص: 7.

ذكر حدود بلاد المغرب.

إنَّ جغرافية بلاد المغرب جعلت منه قطب وطريق تقاطع هام، وهذا ما أضفى عليه خصوصية، وأصبح له وضع خاص، وهذا الوضع كان له دور فعال في محاولة تحديد الحدود والمعالم الجغرافية لهذه المنطقة، رغم وجود بعض الاختلافات والآراء بين العديد من الجغرافيين والمؤرخين بالإضافة إلى العديد من الرحالة حول ضبط المعالم والحدود لهذه المنطقة بكل دقة ووضوح ومن بينهم أبي الفداء صاحب كتاب تقويم البلدان الذي يذكر في هذا الشأن " بأنَّ بلاد المغرب ثلاث قطع الغربية منها تعرف بالمغرب الأقصى، وهو من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا، وشرقا سبتة إلى مراكش ثم إلى سجلماسة وما في سمتها شمالا وجنوبا، والقطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط وهي من شرقي وهران عن تلمسان مسيرة يوم في شرقيها، إلى آخر حدود مملكة بجاية⁽¹⁾ من الشرق، والقطعة الثالثة الشرقية إفريقية"⁽²⁾.

بيد أنه كلما تقدمنا في المجال بدأت الرؤية تتضح تدريجيا حول ملامح ومعالم بلاد المغرب، وذلك حسب ما يذكره ابن حوقل في كتابه صورة الأرض الذي يعد من أهم المصادر الجغرافية التي تضبط الحدود والمسالك الجغرافية بقوله: "وأما المغرب فبعضه ممتد على بحر المغرب في غربيه، ولهذا البحر جانبان شرقي وغربي، وهما جميعا عامران، فأما الغربي فمن مصر، وبرقة إلى إفريقية، وناحية تنس إلى سبتة وطنجة، وأما الشرقي فهو بلد الروم من حدود الثغور الشامية إلى القسطنطينية إلى نواحي رومية..."⁽³⁾، إلا أنَّ ياقوت الحموي يجعل حدها من مليانة⁽⁴⁾ وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر

¹ بجاية: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، وكان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن بلكين في حدود سنة 457هـ. ينظر: الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان. دار الصادر بيروت، د، ط، 1397هـ/1977م، مج: 5، ص: 339.

² أبو الفداء عماد الدين إسماعيل محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت. ن، ص: 122.

³ ابن حوقل أبي قاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د. ط، 1992م، ص: 64.

⁴ مليانة: هي مدينة كبيرة وقديمة بناها الرومان وأطلقوا عليها اسم ما كنانة، لكن العرب حرفوا هذا الاسم، أسسها الملك الصنهاجي بلكين بن مناد. ينظر: الوزان الحسن بن محمد الفارسي البغدادي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقية، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج: 2، ص: 34.

جبال السوس التي وراءها بحر المحيط، وندخل فيه جزيرة الأندلس، وإن كانت إلى الشمال أقرب ما هي، وطول هذا البر مسيرة شهرين⁽¹⁾.

ونظرا لأهمية بلاد المغرب من الناحية التاريخية والجغرافية بالدرجة الأولى، لا يمكن تجاوز هذه الأهمية، وعبورها دون إخضاعها لآراء كتابات العديد من الجغرافيين الذين كان لهم اهتمام بالغ بدراسة هذا المكان من ناحية معاملة وحدوده، فهناك من يدخل كل من برقة⁽²⁾ ومصر ضمن نطاق بلاد المغرب، وهذا ما أورده ابن عذارى المراكشي بقوله: "إن حد المغرب هو من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب، وحده مدينة سلا"⁽³⁾، وينقسم أقساما: فقسم من الإسكندرية إلى طرابلس وهو أكبرها وأقلها عمارة، وقسم من طرابلس وهي بلاد الجريد، يقال أيضا بلاد الزاب الأعلى، ويلى هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل، وحدها إلى مدينة تيهرت، ويليهما بلاد المغرب وهي بلاد طنجة، وحدها مدينة سلا وهي آخر المغرب، وإذا جرت سلا، وأخذت إلى الجنوب، تركت مغرب الشمس يُمْتَنَة، وأخذت منها قافلا إلى القبلة، فسميت تلك البلاد بلاد تَامَسْنَا⁽⁴⁾، ويقال لها أيضا بلاد السوس الأدنى"⁽⁵⁾.

كما يمكن معرفة حدود بلاد المغرب من خلال التطرق إلى مجموعة من الخصائص الجغرافية كتمركز المناطق المهمة بها، بالإضافة إلى وجود بعض القبائل التي تحاول فرض سيطرتها على منطقة مما تشكل هذه العناصر وحدة متكاملة تضبط الحدود، ونستنتج من خلالها أهم المعالم وهذا ما تطرقت

¹ الحموي، المصدر السابق، ص: 161.

² برقة: بتندئ عند تخوم إقليم مَسْرَاتَة، وتمتد شرقا حتى تخوم الإسكندرية على مسافة ألف وثلاثمائة ميل ما يقارب عرضها مائتي ميل. ينظر: الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 112.

³ سلا: مدينة أزلية بناها الرومان، وتغلب عليها القوط، ولما دخلتها الجيوش الإسلامية سلمها طارق بن زياد، وبعد تأسيس مدينة فاس انضوت سلا تحت سلطة ملوكها. ينظر: المصدر نفسه، ج: 1، ص: 207.

⁴ تَامَسْنَا: إقليم تابع لمملكة فاس، يبتدئ غربا عند أم الربيع وينتهي إلى أبي رقرق شرقا، والأطلس جنوبا وشواطئ البحر المحيط شمالا، طوله من الغرب إلى الشرق ثمانون ميلا ومن الأطلس إلى المحيط نحو ستين ميلا. ينظر: الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 1، ص: 194.

⁵ ابن العذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تح: ج س كولان، إ، ليفي برونسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ج: 1، ص: 5-6.

إليه العديد من كتب الجغرافيين، والرحالة ككتاب الجغرافية لأبي بكر الزهري الذي جعل بلاد المغرب أولها جبال برقة، وجبال أوثان في المشرق، وهذه الجبال على آخر عمل مصر، وأول عمل القيروان⁽¹⁾، وآخره أقصى السوس، وهذا الجزء ينقسم على ثلاثة أصقاع على حد قول أبي بكر الزهري، فتكون إفريقية هي الصقع الأول حيث تمتد من جبال برقة إلى جبال نفوسة وجبال الونشريس، ويسكن في هذا الصقع قبائل من البربر مثل: صنهاجة⁽²⁾، وبرغواطة⁽³⁾، وزناتة، وعلى هذا الصقع يعرف بإفريقية، وفيه من المدائن والمهدية⁽⁴⁾ وسوسة وتونس وبنزرت وبجاية، وقبلها بونة وجزائر بني مزغنة، ومدينة قفصة، وفي جوفه في المدن مدينة قابس ومدينة نفطة، ومدينة توزر الخضراء ومدينة بنظرة، وتعرف هذه البلاد بجزائر التمر لأنّ فيها نخلا كثيرا، وتمرا غزيرا وينتهي التمر عندهم إلى أكثر من عشرة أجناس، لا يشبه بعضه بعضا لا في النعت ولا في الطعم، وهو أكثر طعامهم لأنّ الزرع عندهم قليل، وذلك بسبب الحرب، وكذلك في غربي هذا الصقع في البر مدينة مليانة، وزواوة وقسنطينة وقلعة بني حماد ومدينة برشك⁽⁵⁾.

ذكر المغرب الأوسط

ولئن الدارس لتاريخ بلاد المغرب يلحظ للوهلة الأولى بأنّ هذه الرقعة الجغرافية تنقسم إلى أقسام، فقد ميز الجغرافيين خلال القرن 5هـ/11م بين إفريقية حسبما ذكرت سابقا، وبين بلاد

¹ القيروان: أو القُرّوان، مدينة أصيلة أسسها عقبة بن نافع، قائد الجيوش العربية، بناها على بعد ستة وثلاثين ميلا من البحر، ونحو مائة ميلا من تونس، شيد بها جامعا عظيما. ينظر: الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 7-8.

² صنهاجة: قبيلة من أوفر قبائل البربر، وهم أكثر أهل المغرب، هم من ولد صنهاج وهو صنهاك، وهو عند نسبة البربر من بطون البرانس من ولد بر فهم وكتامة جميعا من حمير. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 201.

³ برغواطة: قبيلة من بطون المصامدة، كانت مواطنهم ما بين المصامدة في تَامَسْنَا وريف البحر المحيط من سلا. ينظر: المصدر نفسه، ج: 6، ص: 276.

⁴ المهديّة: مدينة بناها المهدي الشيعي عبيد الله المهدي على ساحل البحر المتوسط فوق كتلة صخرية داخل البحر، وأحاطها بأسوار عالية متينة وأبراج ضخمة. ينظر: الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 85-86.

⁵ الزهري أبي بكر أبي عبد الله محمد، كتاب الجغرافية وما ذكرته العلماء من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب يحتوي على الأقاليم السبعة وما فيها الأرض من الأميال والفراسخ. تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د. ط، د. ت. ن، ص: 106.

المغرب التي جزئت إلى جزأين بلاد المغرب الأقصى، وبلاد المغرب الأوسط، فتسمية المغرب الأقصى أطلقت على هذه البلاد لبعدها عن إفريقية أي بعيدة (أقصى)، وهي تلي تلمسان غربا حتى سبتة شمالا⁽¹⁾، كما تمتد من وادي ملوية⁽²⁾ شرقا، وكانت القاعدة تتأرجح فيه بين فاس ومراكش تبعا للدولة⁽³⁾، ويلي بلاد المغرب الأقصى منطقة تتوسط بلاد المغرب بصفة عامة وهي بلاد المغرب الأوسط الذي ميزها موقعها بين كل من إفريقية، والأقصى وجعلها قاعدة ومحط أنظار من قبل العديد من الجهات.

إلا أن هذا لا يغنيها عن وجود تغير، وعدم استقرار في ضبط حدودها أي بين المد والجزر (غير ثابتة) حالها حال غيرها من الدول، فيرى البعض بأن بلاد المغرب الأوسط تلي المغرب الأدنى غربا إلى مدينة وهران، وعلى الساحل الشرقي تلمسان والمغرب الأقصى⁽⁴⁾. إلا أن سعدون نصر الله يذكر أن بلاد المغرب الأوسط تلي إفريقية، وتمتد من وهران شرقا إلى حدود مملكة بجاية غربا، وأطلق على هذه المنطقة اسم بلاد الزاب وذكر أنها تمتد من طرابلس شرقا إلى مدينة تيهرت⁽⁵⁾.

وصفوة القول بأن معالم المغرب الأوسط بدأت تظهر خلال القرن 6هـ/12م من خلال صاحب كتاب الاستبصار، وكتاب العبر لابن خلدون وغيرهم، فعلى حد قول صاحب الاستبصار "بأن المغرب الأوسط فيه مدن كثيرة، وقاعدتها مدينة تلمسان، وحد المغرب الأوسط من وادي مجمع

¹ محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ط، 2004م، ص: 11.

² وادي ملوية: نهر كبير ينبع من الأطلس من ناحية الحوز، على بعد نحو خمسة وعشرين ميلا من مدينة كرسلوين. ينظر: الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 250.

³ شقدان كامل عبد الرزاق، تلمسان في العصر الزياني (633هـ-962هـ/1235م-1555م). رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، قسم التاريخ، نابلس، فلسطين، 1422هـج-2002م، ص: 12.

⁴ محمود السيد، المرجع السابق، ص: 11.

⁵ سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب منذ الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20-798هـ) (640-1492م). دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص: 16.

وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا⁽⁶⁾ من بلاد المغرب في الطول، وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد الذي ذكرنا في البلاد الساحلية مثل مدينة وهران ومليانة... و غيرها من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل⁽⁴⁾. ومن مدن المغرب الأوسط المشهورة، مدينة تاهرت وهي مدينة مشهورة قديمة كثيرة، عليها سور صخر، ولها قسبة منيعة على سوقها تسمى المعصومة⁽²⁾.

فحد المغرب الأوسط كأقليم من الحدود الغربية لبجاية شرقا حتى وادي ملوية غربا، الذي يعد الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وقاعدته تلمسان، يشمل مناطق وسط الجزائر، وغربها، وسمي بالأوسط لتوسطه المغربين الأدنى والأقصى⁽³⁾، وقد قسم هذا الإقليم (المغرب الأوسط) إلى قسمين: المغرب الأوسط الشرقي وقاعدته تاهرت والمغرب الأوسط الغربي وقاعدته تلمسان⁽⁴⁾.

ولقد أطلق على المغرب الأوسط بعد القرن 7هـ/13م اسم المملكة الزيانية نسبة إلى السرة الحاكمة، أو مملكة تلمسان⁽⁵⁾ نسبة إلى عاصمة المملكة، في حين يذكر ابن خلدون بلاد المغرب الأوسط ولكن مع ذكر القبائل التي تولت زمام هذا الإقليم من قبيلة إلى أخرى بقوله: "أما المغرب

⁶ بلاد تازا: وهي جبال عظيمة حصينة كثيرة التين والأعناب، وجميع الفواكه، وتقع في آخر بلاد المغرب الأوسط، وأول بلاد المغرب الأقصى. ينظر: مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار. د.ط، د. ت. ن، ص: 186.

¹ بلاد تنزل: مدينة في أول الصحراء، وهي على الطريق إلى سجلماسة. ينظر: مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار. هـ. ص: 176.

² المصدر نفسه، ص. ص: 176-178.

³ شهاب أحمد نحلة، تاريخ المغرب العربي. دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ/2010م، ص: 18.

⁴ شقذان بسام كامل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص: 12.

⁵ تِلْمَسَان: بكسرتين فسكون مركبة من تلم بمعنى تجمع، وسان بمعنى اثنين تجمع بين التل والصحراء، وهي في سفح جبل بني ورتيد المار جنوبا، وتلمسان مدينتان إحداهما قديمة تعرف بالأغادير أسسها بنو يفرن، وهم أوسع بطون زناتة قبل الإسلام، والثانية أغادير كما سميت تافرات باسم معسكر في العهد الإدريسي. ينظر: شقرون جيلالي، تلمسان مركز إشعاع الحضاري في المغرب الأوسط. قسم تاريخ، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، مجلة الفقه والقانون، د. ط، د. ت. ن، ص: 01.

الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن، وكان معهم مديونة⁽⁶⁾، ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة⁽¹⁾، ثم صار من بعدهم لبني ومانوا، وبني يلومي، ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بين مادين، وقاعدته لهذا العهد تلمسان، وأما بلاد بجاية وقسنطينة فهي دار زواوة وكتامة⁽²⁾ ومجسسة وهوارة⁽³⁾.

الأوضاع الثقافية والفكرية لبلاد المغرب الأوسط قبل الموحدين

وتماشيا مع موضوع الدراسة، لا بد من التطرق إلى الأوضاع الثقافية والفكرية لبلاد المغرب الأوسط بعد تحديد وضبط معالمه وحدوده كوحدة، وكيان مستقل بذاته، فهذا الحيز الجغرافي يعد الوعاء الذي تنصهر فيه الأوضاع سواء ثقافية أو فكرية.

فبدخول الإسلام إلى بلاد المغرب، أصبح للثقافة العربية الإسلامية انتشارا واسعا على أغلب المناطق والحوضر المغربية مثل: طبنة، القيروان، وتلمسان، بالإضافة إلى تيهرت حتى أصبحت هذه البلاد تنافس كل من بلاد المشرق، والأندلس في جميع مسارب الثقافة الفكرية سواء في الأدب أو الحضارة، والفن، أو العلم⁽⁴⁾. فتعاقب على بلاد المغرب الأوسط العديد من الدول التي كان لها أثر على البلاد في العديد من المجالات، فكان الوضع الثقافي والفكري أكثر تأثرا من جراء هذه الحضارات التي تركت بصمات داخل هذه المنطقة الجغرافية للمغرب الأوسط.

⁶ قبيلة مديونة: هم إخوة مطماطة ومغيلة من ولد فاس، كانت مواطنهم بنواحي تلمسان ما بين جبل بني راشد إلى الجبل المعروف بهم قبلة وجدة، يجاورهم من ناحية المشرق بنو يلومي وبنو يفرن. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 6، ص: 165.

¹ قبيلة مطماطة: هم إخوة مضغرة وملاية من ولد فاتن بن تمصيت، واسم مطماط مصكاب ومطماط لقب له، من لوا بن مطماط. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 6، ص: 161.

² قبيلة كتامة: من قبائل البربر بالمغرب، وأشدهم بأسا وقوة، وأطولهم في الملك، عند نسابة البربر من ولد كيتام بن برنس، ويقال كتم، ونسابة العرب يقولون إنهم من حمير. ينظر: المصدر نفسه، ج: 6، ص: 195.

³ المصدر نفسه، ج: 6، ص: 134.

⁴ الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة. ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، ماي 2010، ص: 190.

ومن بين هذه الدول نجد الدولة الحمادية 408هـ-547هـ/1018م-1152م التي أخذت مكانا لها داخل بلاد المغرب الأوسط، بل كانت أول دولة بربرية مستقلة بالجزائر الإسلامية، ومن البديهي أنّ العنصر البربري بكل خلفيته الثقافية يمثل واحدا من أبرز مكونات الثقافة للدولة، وقد انتشرت في العصر ظاهرة التنافس الثقافي، وكان السباق قائما بين بلدان المشرق والمغرب والأندلس، وبين عواصمها المختلفة: المهديّة، بجاية... الخ، وبرزت كل مدينة بلون من العلوم غلب عليها وانتشرت به، فبجاية عاصمة الرياضيات ومنها أخذ الأوربيون الأرقام العربية، والجبر والمقابلة، وهندسة أوقليدس⁽¹⁾.

كما ازدهرت الحياة التعليمية ازدهارا كبيرا وتدلنا عليه هذه المكانة العلمية التي احتلتها بجاية، بحيث أصبحت كعبة الشعراء، ومقصد طلاب العلم، فقد ارتحل إليها ابن حمديس الصقلي، وأبو الفضل بن النحوي⁽²⁾ من العلماء، وغيرهما ممن غصت بهم العاصمة الحمادية، وقد برز الفقهاء والعلماء والشعراء، والمؤرخون والأدباء والرياضيون وغيرهم ببجاية، والقلعة وأشير وطبنة، والزاب، ومسيلة، بروزا لا عهد للجزائر به⁽³⁾، فامتألت عاصمة الحماديين بالعلماء والأدباء، والفنانين الماهرين. فنهضت الثقافة بالدولة الحمادية نهضة كبيرة، فبلغت أوج عظمتها، وكان وقتئذ على رأسها الناصر بن علناس⁽⁴⁾، كان هذا العاهل محبا للعلم مصطفيا أهله، فتقاطر على القلعة العلماء والأدباء،

¹ عويس عبد الحليم، دولة بني حماد (صفحة رائعة من التاريخ الجزائري). دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م، ص. ص: 247-249.

² أبو الفضل النحوي: هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف ويعرف بابن النحوي التوزري القلعي نسبة إلى قلعة بني حماد، قرأ بلده، وبالقيروان ثم دخل المغرب، واستقر أخيرا بقلعة بني حماد سنة 394هـ، وتوفي بها سنة 513هـ. ينظر: الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م، ج: 8، ص: 247.

³ عويس عبد الحليم، المرجع السابق، ص: 254.

⁴ الناصر بن علناس: بن حماد بن بلكين بن الزيري الصنهاجي، البربري، ملك المغرب، هو الذي أنشأ مدينة بجاية الناصرية، وكانت، دولته سبعا وعشرين سنة، وتوفي سنة إحدى وثمانين. ينظر: ابن الخطيب لسان الدين أبي عبد الله محمد بن الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام. تح: سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2002م، ج: 2، ص: 332.

منهم أبو الفضل بن النحوي⁽⁵⁾، كما كانت فترة حكم الناصر بن علناس 454هـ-481هـ/1062م-1088م فترة مزدهرة، وهو أطول الملوك الحماديين باعاً في هذا المضمار، فقد كان يؤمه الأدباء ويقصده الشعراء، فيغدق صلواته عليهم. كما ذكر لسان الدين بن الخطيب الأمير المنصور بن الناصر 481هـ-498هـ/1087م-1104م. فقال: "أته كان له آثار عظيمة، وقصور شامخة منيفة، وأخبار شهيرة، كان قائماً على أمره حميد الخلال، ضابطاً للأمر، يكتب ويشعر"⁽¹⁾. وقال كذلك عن يحيى بن العزيز 515هـ-547هـ/1121م-1152م: "كان يحيى فاضلاً، حليماً، فصيح اللسان والقلم، مليح العبارة، بديع الإشارة"⁽²⁾.

أما من الناحية الدينية والعمرانية فقد اعتنى الحماديون بالفن المعماري، وأبوا إلا أن يكون لهم من المباني ما كان لبني عمهم بإفريقية، وللفاطميين بمصر، والمباني تدل على ما وصلت إليه الدولة من عزة وسلطان فأحضروا المهندسين من إفريقية، وحتى من المشرق لتشييد المشاريع العمومية، والقصور لهم، فأسسوا الأسوار، والقناطر، والمدارس والمساجد مثل مسجد الجامع الذي شيده المنصور ببجاية وكذلك تم تشييد قصور في غاية الجمال⁽³⁾، أما من الناحية الدينية فقد شيد بنو حماد عدة مساجد أهمها جامع قلعة بني حماد والجامع الكبير بقسنطينة⁽⁴⁾، كما أنّ سكان المغرب الأوسط الحمادي من شيعيين وسنيين وإباضيين ومسيحيين، ويهود كانوا مثقفين رغم اختلافهم في المذاهب والعقائد، أي أنّ هذه الحضارة نشرت سياسة التسامح الديني⁽⁵⁾.

فبجاية كانت مركز للحماديين حظيت بعناية كبيرة من قبل الأمراء و الملوك الحماديين، ومنهم المنصور الذي أقام بها من أسباب الحضارة ما لم ير مثله شرقاً ولا غرباً، وأمر أن توزع المنح على

⁵- الطمار محمد، المرجع السابق، ص: 202.

¹- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج: 2، ص: 333.

²- المصدر نفسه، ص: 334.

³- الطمار محمد، المرجع السابق، ص: 221.

⁴- بورويبة رشيد، الدولة الحمادية وحضارتها. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 1397هـ/ 1977م، ص: 314.

⁵- المرجع نفسه، ص: 166.

العباقر، والمبرزين في كل فن، فزدهم على تلك المعاهد العلماء والحكماء والأدباء والأطباء، وأهل الفنون الرياضية والهندسية (ظهر لا عهد للجزائر به من قبل)، كما أم ببجاية والعواصم الأخرى الكثير من علماء الأندلس، والشام ومصر والحجاز والعراق، والعجم، فاستفادت الجزائر من علومهم وثقافتهم، وقد بلغ إقبال الناس على العلم، يومئذ أنه كان يجتمع على المدرس الواحد ما يربو على 100 طالب، ولا فرق في ذلك بين المسلم وغيره⁽¹⁾.

فلم تحظ علوم التاريخ والجغرافية بعناية كبيرة، كتلك العناية التي أولوها لعلوم الدين واللغة، ذلك أن فترة الحماديين كانت فترة تركيز على العربية والإسلام باعتبارهما الأساس الذي تقوم عليه عملية التعريب لبلاد المغرب، ولربما كانت دراسة التاريخ لا سيما التاريخ البربري عملاً أحسن البربر بخرج منه إزاء إقبالهم على الحضارة الجديدة التي أحبوا مثلة في دينها ولغتها⁽²⁾. وقد أعطى هذا التزاوج بين الثقافة البربرية، والثقافة العربية الإسلامية نتائج ساهمت في ارتقاء هذا المجتمع، وتأسيس الدولة الحمادية، وإرساء قواعدها، كما ساهمت في وجود علماء في الفقه، ومبادئ علم الكلام، ناظروا فقهاء العرب في قواعد الأصول وفروع الفقه⁽³⁾.

إلا أنه لم يستمر هذا الوضع، فقد شهدت هذه الدولة مرحلة من الضعف، والانحطاط كغيرها من الدول، عندما تولى يحيى بن العزيز أمور الدولة (خلف المنصور خلفاً ضعافاً) 515هـ- 547هـ/1121م-1152م، وكان الجو المغربي والإسلامي⁽⁴⁾ ملبداً ينبأ بسقوط هذه الدولة والحضارة التي شهدت العديد من الإنجازات، وخلفت العديد من الآثار، فقد تركت بصمة داخل المغرب الأوسط، وأصبحت من الروائع التي يضرب بها المثل.

¹- الطمار محمد، المرجع السابق، ص: 204.

²- عويس عبد الحليم، المرجع السابق، ص: 268.

³- جبار مختار، مجلة أسس المكون الثقافي للحماديين. مجلة محكمة تعنى بقضايا التراث الجزائري، معهد اللغة العربية وآدابها، وهران، جوان 1997م، العدد 1، ص: 53-54.

⁴- عويس عبد الحليم، المرجع السابق، ص: 153.

في حين نجد في المقابل هناك دولة أخرى فتية تحاول بناء وتأسيس كيان خاص بها في بلاد المغرب عامة، والمغرب الأوسط خاصة، وهي دولة الموحدين التي تطمح آنذاك إلى إرساء معالم خلافة بأكملها وليس مجرد دولة، فكانت موحدة في الفكرة والثورة، والدعوة، فاستغلت الأوضاع السائدة آنذاك في بلاد المغرب الأوسط وهو سقوط واضمحلال حضارة الحماديين التي تزعم سلطتها الحاكم التاسع والأخير⁽¹⁾، إلا أنه كان يتميز بصفة الضعف مثلما قال عنه ابن خلدون: "كان مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد"⁽²⁾، وقد طويت صفحة هذه الدولة كما طويت صفحات من قبلها ومن بعدها، وأدت هذه الحضارة دورها على امتداد القرن 5 و6 هجري و11 و12 ميلادي⁽³⁾.

ومن الجلي أنّ الموحدين قد ورثوا الدولة الحمادية خلال القرن 6هـ/12م وهي في أوج تألقها الحضاري، ومن السهل على المرء الاقتناع بأنّ العلماء والمفكرين الذين ظهوروا على امتداد القرن 6هـ/12م في المغرب الأوسط كانوا تلاميذه للحضارة الحمادية، وأنّ نهضة بجاية على عهد الموحدين ليست من مآثر الموحدين وحدهم، فقد كانت ذات شهرة فائقة على عهد بني حماد⁽⁴⁾.

فسقوط دولة هو امتداد لظهور دولة جديدة تستمد معالمها وركائزها من التي سبقتها مع التعديل أو التغيير الجذري، وهذا ما نجده في الدولة الموحدية التي هي امتداد للحماديين أي وجود فترة انتقالية لبلاد المغرب الأوسط من العهد الحمادي إلى العهد الموحد.

¹ بورويبة رشيد، المرجع السابق، ص: 91.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 6، ص: 235.

³ عويس عبد الحليم، المرجع السابق، ص: 286.

⁴ المرجع نفسه، ص: 285.

الفصل الأول

واقع النشاط الثقافي والفكري بالمغرب الأوسط زمن
الموحدين.

المبحث الأول: عوامل ازدهار النشاط الثقافي والفكري
بالمغرب الأوسط.

المبحث الثاني: الحواضر العلمية.

المبحث الثالث: المراكز التعليمية.

المبحث الأول: عوامل ازدهار النشاط الثقافي والفكري بالمغرب الأوسط.

إنّ الهدف من قيام دولة الموحدين هو نشر العلم والمعرفة، والعمل على رفع الحركة الفكرية، وتشجيعها في جميع مظاهرها خاصة من قبل خلفائها لاسيما الأوائل منهم، وقد ساعد على ذلك العديد من العوامل نذكر منها:

1) رحلة ابن تومرت في طلب العلم:

ولد محمد بن تومرت⁽¹⁾ بضيعة إيجلي أن وارغن وهو من قبيلة تسمى هرغة⁽²⁾، وكان أول أمره، وابتداء حاله رجلا فقيرا مشغلا بطلب العلم وتحصيله⁽³⁾، فلقد شبّ قارئاً محبا للعلم، وكان يسمى أسفو⁽⁴⁾ : وهي كلمة بربرية تعني الضياء لملازمته إيقاد القنديل في المسجد للقراءة والصلاة⁽⁵⁾.

بينما اختلف العديد من المؤرخين حول نسبه، إذا كان من أصل عربي أو أنه ينتمي إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فهناك من قال أنه ينتمي إلى أهل البيت فيذكرون اسمه محمد ابن عبد

¹ محمد بن تومرت: ت: 524هـ/1130م اختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته فقبل في يوم عاشوراء سنة 485هـ/1092م. ينظر: ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.ن، ج: 5، ص: 53. وقيل سنة إحدى وتسعين وأربعمائة هجري. ينظر: الزركشي أبي عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللولوي، تاريخ الدولة الموحدية والحفصية. مطبعة الدولة التونسية المحروسة، ط1، 1289هـ/1872م، ص: 01.

² هرغة: كانت في العصور الوسطى تحتل المنطقة الممتدة جنوب مدينة مراكش عند السفح الشمالي لجبال الأطلس فيما وراء الجزء الأعلى من وادي سوس، ويقال إنه أسسها البربري الحقيقي أرغن ثم حرف إلى هرغة. ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، المغرب تاريخ العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام. تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ط، 1964م، ص: 266.

³ بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1972م، ص: 172.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 6، ص: 310.

⁵ ابن القطان المراكشي أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان. تح: محمود علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1990، 1م، ص: 90.

الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رياح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه⁽¹⁾، وقيل أنه محمد بن عبد الله بن وكييد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم⁽²⁾. وينقل من يوثق بنقله من قرابته وغيرهم، محمد بن عبد الله بن وكييد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا نسبه الصحيح⁽³⁾.

وفي سنة 501هـ/1108م رحل في طلب العلم إلى المشرق، وعمره 16 سنة⁽⁴⁾، فمر بالأندلس ودخل قرطبة، وهي آنذاك دار علم، ثم أجاز إلى الإسكندرية، وحجّ ودخل العراق، ولقي جملة من العلماء⁽⁵⁾، منهم أبا بكر الشاشي فأخذ عليه شيئا من أصول الفقه، وأصول الدين، وسمع الحديث على المبارك بن عبد الجبار، ونظرائه من المحدثين، وقيل إنّه لاقى أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده⁽⁶⁾، فلازمه لاقتباس العلم لمدة ثلاثة سنوات، فكان أبو حامد الغزالي إذا دخل عليه المهدي يتأمله، ويختبر أحواله الظاهرة والباطنة، فإذا خرج عنه يقول لجلسائه، لا بد لهذا البربري من دولة، أمّا أنّه يثور بالمغرب الأقصى، ويظهر أمره، ويعلو سلطانه، ويتسع ملكه فإنّ ذلك ظاهر عليه في صفاته⁽⁷⁾، فكان حافظا، عالما بالمذاهب متصورا⁽⁸⁾ وكان يحفظ الكثير من

¹ القيرواني أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيبي، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، 1286م، ص: 107. وينظر: ابن أبي الزرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 172. وينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 301.

² ابن القطان، المصدر السابق، ص: 38.

³ البيدق أبي بكر الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب. تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص: 12.

⁴ المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين). تح: محمد سعيد العريان، د.د.ن، د.ط، د.ت.ن، ص: 245.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 6، ص: 301.

⁶ المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص: 245.

⁷ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 172.

⁸ ابن القطان، المصدر السابق، ص: 77.

حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونبغ في الأصول والاعتقادات⁽¹⁾، فأفاد علما واسعا، وكان بحرا متفجرا من العلم، وشهابا واريبا من الدين⁽²⁾.

وفي سنة 510هـ/1117م شرع المهدي في رحلة إلى مسقط رأسه، ولكنها كانت مخالفة تمام المخالفة لرحلة الذهاب فمن مكة انتقل إلى مصر، واختلف إلى مجلس الطرطوشي، ونهى عن المنكر وأمر بالمعروف، ومنها قصد طرابلس، ثم المهديّة، فاتخذ أحد مساجدها مقرا يدرس به العلم⁽³⁾، ومنها انتقل إلى تونس، وكان طلبتها يأتون إلى الإمام، يأخذون عنه العلم، فلما صَلَّى دعا بالفقهاء ووجههم، وعرفهم بالسنة، وبيّن لهم الكتاب العزيز، فقالوا له بعد أن عرفوا الحق جهلنا يافقيه، فكانوا يأخذون له العلم أيّاما عديدة، فلما كان بعد الأيام أمرنا بالأخذ على أنفسنا، وقال لنا نتوجه إن شاء الله نحو الغرب⁽⁴⁾، فقصد قسنطينة، ثم بجاية التي وصلها سنة 511هـ/1118م، ويبدو أنّه أطل بها المقام متخذًا أحد مساجدها مدرسة للتعليم⁽⁵⁾، ثم خرج إلى رباط ملالة، وهنا التقى بعبد المؤمن بن علي

¹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 172.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 6، ص: 302.

³ النّجار عبد المجيد، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري). المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، تونس، 1404هـ/1908م، ط2، 1415هـ/1995م، ص: 62-63.

⁴ البيدق أبي بكر الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1971م، ص: 11-12.

⁵ النّجار عبد المجيد، المرجع السابق، ص: 63.

حيث قال ابن تومرت: " لا يقوم الأمر الذي فيه حياة الدين إلا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين"⁽¹⁾، ومن ملالة قصد مع جملة من مخلصي الرفاق من بينهم عبد المؤمن عاصمة المغرب آنذاك مراكش⁽²⁾.

فابن تومرت تلقى علوما متنوعة تجمع بين العقلي والنقلي⁽³⁾ وهذا ما جعله يقوم بثورة⁽⁴⁾، وذلك نتيجة بروز عوامل اجتماعية وسياسية أثناء حكم المرابطين منها الانحلال الخلقي والفساد كتناول الخمر وبيعها علنا في الشوارع، وكان للعامل السياسي دور في إشعال نار الثورة، حيث أدى ضعف الأمراء المرابطين خاصة منذ عهد علي بن يوسف عند تسيير الدولة⁽⁵⁾، وهذه العوامل ساهمت في تغيير التاريخ بالمغرب الإسلامي فهاجم الفقهاء هجوما عنيفا، ووصفهم بأنهم مجسمون بأخذهم النصوص على ظاهرها دون تأويل، ولم يقتصر على الدعوة إلى الثورة الدينية، السياسية فحسب، بل عني بتأليف الرسائل في الأصول والفقهاء لتكون دعوته أوضح في النفوس، وأبقى في التاريخ⁽⁶⁾ فأسس دولة الموحدين التي قامت بإصلاح الفساد الذي كان متفشيا في عهد المرابطين⁽⁷⁾.

¹ مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م، ص:106.

² النجار عبد المجيد، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن 6هـ). ص:63.

³ المرجع نفسه، ص:62.

⁴ بن تومرت محمد مهدي الموحدين، أعز ما يطلب. تح: عمار طالبي، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، د.ط، 2007م، ص:06.

⁵ القرقوطي معمر الهادي محمد، جهاد الموحدين في بلاد الأندلس 541هـ-629هـ/1146م-1233م. بوزريعة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2005م، ص:38.

⁶ بن تومرت محمد، المصدر السابق، ص ص:6-7.

⁷ النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت أبو عبد الله المغربي السوسي المتوفى 524هـ/1129م حياته، وأراءه وثورته الفكرية الاجتماعية، واثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1403هـ/1983م، ص:381.

2) تشجيع الخلفاء الموحدين للعلم:

لقد اتصف الأمراء الموحدين في عمومهم بالعلم⁽¹⁾، فإنّ بعضهم كان ألمع فيه من بعض، واشتهر من بينهم أعلام كان لهم باع في تحصيل العلم ونشره، والحث عليه، ولولا انشغالهم بتدبير الحكم لأصبحوا من مشاهير العلماء بالمغرب، وأول هؤلاء عبد المؤمن بن علي 524هـ-558هـ/1130م-1163م⁽²⁾، فقد أشرب حب العلم منذ الصغر، وعقد العزم على الرحلة في طلبه إلى المشرق لولا إثناء المهدي عن عزمه، كان رحمه الله فصيحا فقيها عالما بالأصول والجدل، والحديث مشاركا في الكثير من العلوم الدينية والدينيوية⁽³⁾، إماما في النحو، واللغة والأدب، والقرآن ذاكرا للتاريخ، وأيام الناس⁽⁴⁾.

فمن شواهد شغفه بالعلم، واعتناؤه به ما كان منه من جمع تعاليم المهدي، وآراءه وإملاءها، وترتيبها في السفر الضخم⁽⁵⁾ الذي عرف باسم أعز ما يطلب⁽⁶⁾، وقد كان مشجعا على العلم عاملا على نشره بين الناس، وخاصة الناشئة منهم⁽⁷⁾ فكان يقوم باستدعاء الصبيان الصغار من أبناء اشبيلية، وقرطبة وفاس وتلمسان إلى حضرته بمدينة مراكش ليعلمهم، ويحفظهم القرآن والحديث⁽⁸⁾.

¹ العلم: حسب ابن تومرت هو نور في القلب تتميز به الحقائق والخصائص. ينظر: النجار عبد المجيد، المرجع السابق، ص: 16.
² عبد المؤمن بن علي: هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمتر أبو موسى بن عبد الله بن يحيى. ينظر: ابن الخطيب، الحلال الموشية. ص: 107. وكان مولد عبد المؤمن في آخر سنة 487هـ/1094م في أيام يوسف بن تاشفين، وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة 558هـ/1163م. ينظر: المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص: 265.

³ الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تح وتع: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ط، 1954م، ج: 2، ص: 130.

⁴ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 203-204.

⁵ بن بنسبياع محمد، السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين. تق: أحمد بن عبود، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، بتطوان، د.ط، د.ت.ن، ص: 66.

⁶ أعز ما يطلب: هو كتاب لابن تومرت عبارة عن مجموعة من الأحاديث المختارة من موطأ مالك وغيره من الأصول بعد إسقاط الأسانيد منها، وهي مرسله دون تبويب واضح أو شرح يستوقف النظر. ينظر: المراكشي عبد الواحد، وثائق المرابطين والموحدين. تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافية الدينية، بورسعيد، مصر، ط1، 1998م، ص: 214.

⁷ النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت آراءه وثورته الفكرية. ص: 383.

⁸ العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس. دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر، الإسكندرية، د.ط، 2005م، ص:

كان عالماً بمقادير العلماء ينزل الناس على قدر منازلهم، ورتبهم وربي الحفاظ بحفظ كتاب الموطأ وهو كتاب أعز ما يطلب وغير ذلك من تأليف المهدي⁽¹⁾، وكان يعلم الصبيان⁽²⁾، وذلك من خلال إدخالهم كل يوم الجمعة بعد الصلاة داخل القصر، فيجتمع الحفاظ فيه، وهم نحو ثلاثة آلاف⁽³⁾، وهم من مختلف القبائل، وأنشأ لهم مدرسة خاصة بمراكش لتعليمهم، وتثقيفهم بالعلوم الدينية⁽⁴⁾، فيأخذهم يوماً بتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعموم بالبحيرة صنعها خارج بستانه فتأدبوا بهذه الآداب تارة بالعطاء وتارة بالآداب⁽⁵⁾، وكانت نفقتهم وسائر مؤونتهم من عنده وخيلهم⁽⁶⁾ ويظهر التنويه بهم، والإعظام لهم⁽⁷⁾، وبذلك استطاع تكوين قوة ذات كفاءة قتالية كبيرة ثقافية، دينية رفيعة⁽⁸⁾، وكان يفضلهم على شيوخ الموحدين ويتضح ذلك من خلال كلمته الصريحة الصارخة العلماء أولى منكم أيها الأشياخ، وكان ينظم الشعر في المناسبات ومن ذلك ما قرأ له في استنفار العرب الهلالين للجهاد ما يلي⁽⁹⁾:

أَقِيمُوا إِلَى الْعَلِيَاءِ هَوَجَ الرَّوَاحِلِ
وَقُودُوا إِلَى الْهَيْجَاءِ جَرَدَ الصَّوَاهِلِ.
وَقُومُوا النَّصْرَ الدِّينِ قَوْمَةً تَائِرٍ
وَشُدُّوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شِدَّةَ صَائِلِ.
فَمَا الْعِرُّ الْأَطْهَرُ أَجْرُدُ سَابِحٍ
يُقُوتُ الصِّبَا فِي شِدِّهِ الْمُتَوَاصِلِ.

¹- ابن الخطيب، الحلل الموشية. ص: 113.

²- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص: 249.

³- ابن الخطيب، الحلل الموشية. ص: 114.

⁴- حسن حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين). مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م، ص: 332.

⁵- ابن الخطيب، الحلل الموشية. ص: 272.

⁶- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام. دار الأمة، الجزائر، د.ط، 2010م، ج: 2، ص: 58.

⁷- الغنای عقيلة، قيام دولة الموحدين. منشورات جامعة فاريونس بنغازي، ط1، 1988م. ط2، 2008م، ص: 285.

⁸- ابن الخطيب، الحلل الموشية. ص: 272.

⁹- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 58.

وقد كان لعبد المؤمن بن علي ثلاثة عشر من أولاده كلهم حفاظ خطاطون قد كملت فيهم الصفات التي رباهم عليها، وتخلصوا بالخصال الحميدة، فأشار عليه أشياخ الموحدين بتقديمهم، فامتنع عن ذلك، ثم ولاهم الأعمال وجعل كل واحد منهم على إقليم⁽¹⁾، ومنهم يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي 558هـ-580هـ/1163م-1184م كان عالما متضلعا جامعا للكتب، راجح العقل⁽²⁾، فلعله كان أعلم من أبيه، وقد جمع بين العلم الشرعي والعلم العقلي، وكان محبا للعلماء ساعيا في تربيهم منه، وتشجيعهم لهم على التأليف، وإنتاج العلم⁽³⁾.

وكذلك يعقوب المنصور بن يوسف 580هـ-595هـ/1184م-1199م⁽⁴⁾ كان رقيق حواشي اللسان حلو الألفاظ، حسن الحديث، وكان يحفظ أحد الصحيحين، حفظه في حياة أبيه بعد تعلم القرآن⁽⁵⁾، وكان ذا رأي وحزم ودين، محبا للعلماء، ويحضر جنائزهم، ويزور الصالحين ويتبرك بهم⁽⁶⁾، وتبحر في علم النحو، ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة، وبدأ من ذلك بعلم الطب، حيث قام بجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب⁽⁷⁾، وأكرم الفقهاء وراعا الصلحاء، والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق بيت المال، وأوصى ولاته وعماله بالرجوع إلى أحكام القضاء⁽⁸⁾، ومحبا للعلماء معظما لهم صادرا على رأيهم يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء ويزورهم⁽⁹⁾،

¹ ابن الخطيب، الحلل الموشية. ص: 114.

² الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 302.

³ النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت أفكاره وآراءه. ص ص: 383-384.

⁴ يعقوب المنصور بن يوسف: هو أبو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن مولده في العشر الأواخر من ذي الحجة سنة 554هـ/1159م. ينظر: الزركشي أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط 1966، 2، ص: 15. ولقب بالمنصور بفضل الله، مولده بقصر جده عبد المؤمن بمدينة مراكش. ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 216.

⁵ المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص: 309.

⁶ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 114.

⁷ المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص ص: 310-311.

⁸ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 217.

⁹ المصدر نفسه، ص: 215.

وكذلك اهتموا بالطب حيث جعلوا المراتب للأطباء، والمهندسين، والشعراء وغيرهم، وعلى العلماء والطلبة على قدر مراتبهم، وطبقاتهم⁽¹⁾.

3 الموحدون اهتموا بنشر العلم، والمعرفة فهضوا بما نهض به قبلهم العباسيون، والفاطميون من نشر العلوم الإسلامية، والفلسفية تفسيراً وحديثاً وفقهاً، ومنطقاً وغير ذلك من كل ما عرف ببغداد والقاهرة من قبل⁽²⁾. فقد امتاز عصر الموحدين بما يلي:

1- الإتيان والدقة على ما قبله أي المحافظة على العلوم التي وجدت لدى الحماديين، وعلى ما بعده بعدم الجمود، والاقْتصار على الموجود أي إضافة علوم جديدة، ففي أيام المرابطين في المغرب كانت العلوم الطبيعية، والأنظار الفلسفية مرغوباً عنها مما أدى إلى إرهاب المفكرين خشية منهم على تعاليم الإسلام لكن لما جاء الموحدون، وكان خلفاءهم مشاركين في كل العلوم أحسن تميز ما ينافي الدين منها مما لا ينافيه، فحافظوا على جوهر الدين من خلال نشر أصوله العقلية والنقلية، والقيام بترك حرية العقول تجري طلقة العنان في ميادين البحث والاستنتاج، ونشطوا أهل العلم، وخالطوهم في مجالسهم، وأنشأوا المدارس⁽³⁾.

2- شهد عصر الموحدين حركة لغوية نشيطة، فابن تومرت كان من المهتمين باللغة العربية وعليه سار خليفته عبد المؤمن الذي ربي ابنه يوسف تربية دينية ولغوية حتى صار من علماء اللغة، ومن المتضلعين في علم النحو⁽⁴⁾.

¹ - المنوبي محمد، حضارة الموحدين. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989م، ص: 16.

² - راجح جميلة، إسهامات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس التحوي. أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ميلود معمري، تيزي وزو، 2015م، غير منشورة، ص: 26.

³ - المليبي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث. دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، د.ت.ن، ج:2، ص:335.

⁴ - بن قرية صالح، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1991م، ص: 47.

3- الحركة الفكرية كانت مزدهرة في بداية الدولة الموحدية لأنّ العوامل التي أثرت في حركة الثقافة فترة المرابطين لاتزال نفسها التي أثرت تأثيرا إيجابيا على الموحدين، فلقد بذرت بذور النهضة العلمية التي نمت، وترعرعت على عهد الموحدين في أيام المرابطين، وكذلك لا ننسى أنّ الموحدين ورثوا بني حماد أيضا، وهي في أوج رقيها الحضاري والثقافي بدليل أنّ أكثر العلماء والأدباء الذين برزوا في القرن **12هـ/12م** بالمغرب الأوسط كانوا طلبه⁽¹⁾ الحضارة الحمادية⁽²⁾.

4- انتشار الأمن في غير ما حقبة من أيام الموحدين، وشاعت الحرية في هذا العهد⁽³⁾.

5- في عهد الموحدين اشتغلت المرأة في الكثير من العلوم⁽⁴⁾، فكانت الطعينة تخرج من بلاد نول⁽⁵⁾، لمطة حتى تصل برقة وحدها لا تر من يعارضها ولا من يكلمها⁽⁶⁾، ومن بنات الخلفاء المثقفات التي أشارت إليهن المراجع الأميرة زينب بنت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن درست علم الأصول على أبي عبد الله بن إبراهيم، وكانت عالمة صائبة الرأي، فاضلة، ومن الشهيرات حفصة بنت الحاج الركونية، وهي من شاعرات الأندلس قد مدحت الخليفة عبد المؤمن بن علي⁽⁷⁾.

¹⁻ الطلبة: هو مصطلح يطلق على طلاب العلم، وصغار الفقهاء الذين كانوا يتقاضون رواتب من الدولة الموحدية لأنهم كانوا يقرؤون ويحفظون الكتب لمحمد ابن تومرت. ينظر: مؤنس حسين، ابن بطوطة ورحلاته. دار المعارف، الإسكندرية، د.ط، 2003م، ص: 36-37.

²⁻ راجح جميلة، المرجع السابق، ص: 26.

³⁻ المنوي محمد، المرجع السابق، ص: 15.

⁴⁻ حسن حسن علي، المرجع السابق، ص: 352.

⁵⁻ بلاد نول: باللام أو النون، بالنون كما هو النطق اليوم من منتهى أرض سوس من إقليم أكادير، وبها يمر وادي نون المسمى باسمها. ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 217.

⁶⁻ المصدر نفسه، ص: 217.

⁷⁻ حسن حسن علي، المرجع السابق، ص: 353.

4) الخلفاء الموحدون أنفسهم كانوا يجيدون الكتابة بأكثر من خط⁽¹⁾، فالفترة الموحدية تعتبر العصر الذهبي للوراقة⁽²⁾ المغربية، فنبغ وراقون مجيدون تفننوا في تنويع الخطوط، وتفرعها إلى عدة طرائق مغربية ومشرقية، وظهر بعض المزخرفين للكتب، كما أنّ الخلفاء الموحدين اهتموا بالخط، وصاروا يستأدبون أبناءهم معلمين خطاطين⁽³⁾ فعلي بن يحيى بن سعيد الأنصاري التلمساني الأصل الذي سكن بإشبيلية، ومراكش وغيرها، وكان حسن الخط في الطريقة المغربية والمشرقية⁽⁴⁾، وهذا ما أدى إلى ظهور التأليف في سائر العلوم⁽⁵⁾.

5) ازدهار صناعة الورق⁽⁶⁾.

كلّ هذه العوامل ساعدت في ازدهار وتطور الحركة الفكرية والثقافية في عهد الموحدين فانتشرت ظاهرة التأليف ونسخ الكتب وهذا ما أدى إلى بروز طبقة مثقفة مكونة من العلماء والطلبة حظيت بمكانة مرموقة لدى الخلفاء الموحدين.

¹ المنوبي محمد، تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، د.ط، 1996م، ص: 28.

² الوراقة: هي صناعة كان يقوم أصحابها بنسخ الكتب، وتصحيحها وتجليدها ونحو ذلك مما يتعلق بالكتب. ينظر: أمين أحمد، ضحى الإسلام. دار الكتاب العربي، لبنان، د.ط، د.ت.ن، ج: 2، ص: 24.

³ المنوبي محمد، المرجع السابق، ص: 27.

⁴ المرجع نفسه، ص: 40.

⁵ راجح جميلة، المرجع السابق، ص: 27.

⁶ فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفتيقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م-1962م. دار العلوم، عنابة، د.ط، 2002م، ص: 69.

المبحث الثاني: الحواضر العلمية.

من أجل معرفة واقع النشاط الثقافي لبلاد المغرب الأوسط، لابد من التطرق إلى المراكز العلمية التي ساهمت بقدر كبير في تفعيل الحركة الفكرية، وخلق مناخ ثقافي، يمكن أن تزدهر فيه العلوم والآداب والمعارف، وتصبح عاملا من عوامل تطور الثقافة المغاربية، وكانت همزة وصل بين المشرق والمغرب والأندلس، ومن بين هذه الحواضر بالمغرب الأوسط نذكر:

1) تلمسان:

تلمسان⁽¹⁾ أو تلمسن فسرها بعضهم بمعنى أنّها مركبة من كلمتين أمازيغيتين تلم-سن، معنى الأول (تلم) هو التجمع، والكلمة الثانية (سن) معناها اثنان، والمقصود في بعض التفسيرات أنّها تجمع بين التل والصحراء بسبب وجود المدينة في التل بينما هي محاذية للصحراء، التي لا تبعد عنها كثيرا. واسمها في لغة زناتة مركبة من كلمتين تلم-سن، ومعناها تجمع بين اثنين يعنون البر والبحر⁽²⁾، أما مبارك الميلي يذكر أنّ تلمسان بكسرتين تِلْمَسَان فسكون علم زنائي مركب من تلم بمعنى تجمع وسان بمعنى اثنين يعنون أنّها تجمع بين اثنين التل والصحراء⁽³⁾.

وهناك من يرجع الكلمة إلى أصل عربي بأّنها مركبة من كلمتين الأولى تلم أي تجمع والثانية إنسان حذف منها الألف والنون وأدجت الكلمتان تلم سان أي مجمع الناس وهذا طبعا محض الخيال⁽⁴⁾.

¹ تلمسان: بكسرتين وسكون الميم، والسين المهملة، وبعضهم يقول تلمسان والنون عوض اللام. ينظر: الحموي، معجم البلدان. ج:2، ص: 44، واسم تلمسان لم يصبح متداولاً بشكل واسع بين المؤرخين إلا في عهد المرابطين وبعده بحكم معرفتهم أنّ أقدم الكتابين لهذه المدينة هما تاريخ تلمسان لأبي عثمان سعيد بن أحمد بن الرعيبي الأندلسي (ت 460هـ/1067م)، وكتاب تاريخ تلمسان القاضي ابن هدية القرشي (ت 736هـ/1335م). ينظر: الدراجي بوزياني، أدباء وشعراء من تلمسان. دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.ن، ص: 61.

² المرجع نفسه، ص: 60.

³ الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث. دار الكتاب العربي، د.ط، 2010م، ج:3، ص: 994.

⁴ الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص: 60.

فيحي بن خلدون يذكر أنّ كلمة تلمسان بلغة البربر هي كلمة مركبة من تلم ومعناه تجمع، وسان معناه اثنان أي الصحراء والتل، فيما ذكره شيخنا أبو عبد الله الإيلي رحمه الله⁽¹⁾، وكان عارف بلسان القوم يقال فيها أيضا تلشان وهو أيضا مركب من تل، ومعناه، بال، وشان أي لها شأن عظيم وهي مدينة عريقة في التمدن، لذيدة الهواء، عذبة الماء، كريمة المنبت، اقتعدت بسفح جبل ودون رأسه بسبب أطول من شرق إلى غرب، عروسا فوق منصة والشماريخ مشرقة عليها أشراق، التاج على الجبين تطل منه⁽²⁾.

أما موقعها الفلكي فقد حدده الجغرافيين والمؤرخون والمسلمون بأنها تقع في الإقليم الثالث عند درجة طول أربعة عشرة درجة (14⁰)، وأربعين دقيقة (40د)، ودرجة عرض ثلاثة وثلاثين درجة (33⁰)، واثني عشرة دقيقة (12د)، لكن الجغرافيين المحدثين حددوا موقعها عند خط طول درجة واحدة (1⁰)، وثلاثين دقيقة (30د)، غرب غرينتش، وخط عرض أربع وثلاثين درجة (34⁰)، وثلاث وخمسين دقيقة (52د) شمال خط الاستواء⁽³⁾.

تقع مدينة تلمسان على السفح الشمالي لجبل الصخرتين وهذا الجبل هو الطرف الشرقي لسلسلة جبال الريف التي تسير بموازاة السهل الساحلي من المغرب الأقصى حتى تصل إلى منطقة ضيقة قرب تلمسان، حيث اعتبرت هذه المنطقة الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والأقصى⁽⁴⁾، ومدينة تلمسان حسب مبارك الميلي تقع في سفح جبل بني ورتيد المار جنوبا بها ويسمى قابلتها بالصخرتين ينحدر منه نهر سطفسييف المار بشرقها ليلتقي بنهر يسر ثم بنهر تافنا⁽⁵⁾ فمن بجاية إلى

¹ أبو عبد الله الإيلي: هو محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني الشهير بالإيلي ومعناها بالباء الموحدة آبله بالفتح فضم اسم جبل بقرب غرناطة، وأصله من الأندلس من أهل آبله، وكان مولده سنة 681هـ، توفي بفاس سنة 757هـ. ينظر: ابن مريم الشريف التلمساني أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. طبع بالمطبعة الثعالبية، د.د.ن، د.ط، 1326هـ/1908م، ص: 214-215.

² ابن خلدون يحي أبي زكرياء يحي أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد. مطبعة ببيرونطانا الشرقية، الجزائر، د.ط، 1321هـ/1903م، مج: 1، ص: 20.

³ شقدان بسام كامل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص: 09.

⁴ المرجع نفسه، ص: 10.

⁵ شقرون جيلالي، المرجع السابق، ص: 01.

مدينة تلمسان 20 ميلا، وفيما بين ذلك بلديات صغار كمليانة ومازونة ووهران، وبين مدينة تلمسان وبين البحر أربعون ميلا⁽¹⁾.

لقد وصفت هذه المدينة من خلال العديد من الرحالة والجغرافيين نذكر منهم البكري الذي قال: " أنّ تلمسان مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة، باب الحمام، وباب وهب، وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة، وفي الغرب باب أبي قرّة ومدينة تلمسان هي قاعدة المغرب الأوسط⁽²⁾، وذكرها يعقوبي بأنها مدينة عظيمة مشهورة بالمغرب وعليها سور حجارة، وخلفه سور آخر حجارة، وبها خلق عظيم، وقصور، ومنازل مشيدة⁽³⁾. ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار، وأنهار عليها الطواحين، وهو نهر سطفسييف وهي دار مملكة زناتة⁽⁴⁾، وحوها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر، وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم، ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة، ومدن كثيرة ترجع إلى نظرها، وفي الجنب من مدينة تلمسان قلعة منيعة كثيرة الثمار غزيرة المياه والأنهار، ويتصل بها جبل تاورتاية⁽⁵⁾، وفي جنوبها قرية كبيرة تسمى باب القصر⁽⁶⁾.

¹ - المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص: 260.

² - البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.ن، ص: 76.

³ - يعقوبي، البلدان. د.د.ن، د.ط، د.ت.ن، ص: 72.

⁴ - البكري، المصدر السابق، ص: 76.

⁵ - تاورتاية: هو جبل كبير المعمورة فيه القرى الكثيرة والعمارة المتصلة. ينظر: مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار. د.د.ن، د.ط، د.ت.ن، ص: 176.

⁶ - المصدر نفسه، ص: 176.

فإنّ تلمسان وما حولها إقليم فسيح من أوفر أقاليم المغرب بالخيرات، ووسائل الرخاء، فهي منطقة سهول وهضاب، كثيرة الوديان وافرة الأمطار في الشتاء، وهي تؤدي إلى ممر تازة وهو المدخل إلى المغرب الأقصى⁽¹⁾.

وفي هذا الصدد يصفها الإدريسي بأنّها مدينة أزلية، ولها سور حصين متقن الوثاقه وهي مدينتان في واحدة يفصل بينها سور ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين⁽²⁾، ففي القديم كانت تحمل اسم قيصرية، عندما كانت خاضعة لسيطرة الرومان⁽³⁾، وكذلك كانت تدعى بوماريا أي الحداثق في تلك الفترة⁽⁴⁾، وعليه فهي قربتان أدغادير⁽⁵⁾ التي أسسها المولى إدريس الأكبر على أنقاض معسكر روماني، وتاقرارات⁽⁶⁾ التي أسسها ملك مراکش يوسف بن تاشفين⁽⁷⁾ ثم انضمت القربتان فأصبحتا تلمسان⁽⁸⁾.

¹ ابن الأحرر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان. تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، ط1، 1421هـ/2001م، ص: 10.

² الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني ق6هـ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية، د.د.ن، د.ط، د.ت.ن، مج: 1، ص: 258.

³ الوزان الحسن، المصدر السابق، ج:2، ص: 07.

⁴ المصدر نفسه، ج: 2، ص: 17.

⁵ أدغادير أو أجادير: هي كلمة ينطق بها الجيم محيرة بين الكاف والجيم، وهي مدينة قديمة. ينظر: النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب. تح: الحميد ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.ن، ج: 24، ص: 161.

⁶ تاقرارات: ينطق بها الجيم محيرة بين الكاف والجيم، بها أصحاب السلطان وهي مدينة محدثة البناء. ينظر: المصدر نفسه، ص: 161. ومدينة تاقرارات أو تلمسان الحديثة قد أنشأها المثلثون لتكون مقرا للإدارة العسكرية للمنطقة، وليشرفوا منها على ما حولها من المناطق. ينظر: حسن حسن علي، المرجع السابق، ص: 383.

⁷ يوسف بن تاشفين: هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تومرت بن ورتاقت بن منصور بن مصالة بن منصور بن أمية بن وانصال، كان رجلا شجاعا مرابطا ومجاهدا. ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام. ج: 2، ص: 388. تولى الحكم من 452هـ-500هـ/1060م-1106م. ينظر: سعدون نصر الله، المرجع السابق. ص: 259-260.

⁸ الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 17.

تعد تلمسان من أحسن مدن المغرب الأوسط موقعا لكونها في ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب من جهة، وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى، فالداخل للمغرب الأقصى آتيا من إفريقية أو المغرب الأوسط والخارج منه آتيا من مراكش أو فاس لا بد له من المرور عليه والنزول والإقامة به، ولو أيّاما قلائل، وكذا القادم من القارة الأوربية، وخصوصا من جزيرة الأندلس عبر البحر الأبيض المتوسط وموانئ وهران وأشقول، وكذا القادم من الواحات الصحراوية، وبلاد السودانى المرور عليها وحط الرحال بها، فهذا الموقع الممتاز جعل منها، أثناء القرون الوسطى موقعا مهما للحرب والتجارة والسياحة⁽¹⁾.

وتعتبر من أهم مراكز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط خلال العهد الإسلامي، إذ أنّها تمثل إحدى أهم العواصم التاريخية والحضارية في المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة، ولم تنزل تلمسان العاصمة تحافظ على حضارتها وثقافتها منذ الفتح الإسلامي⁽²⁾ فبنى يوسف بن تاشفين 465هـ-500هـ/1073م-1106م بها المسجد الجامع⁽³⁾ ولكنّ هذا المسجد تعرض للتخريب من قبل الموحدين⁽⁴⁾، وذلك عندما شرع عبد المؤمن بن علي في بسط سلطته على المغرب الأوسط بعد توطيد أركان دولته، فتحرك بقواته سنة 534هـ/1139م صوب تلمسان فحاصرها⁽⁵⁾، وعلى الرغم من كثرة جيوش تاشفين بن علي المرابطي، إلاّ أنّه انهزم أمام الموحدين، وقتل بنواحي وهران، فدخل عبد المؤمن مدينة تلمسان منتصرا سنة 540هـ/1145م وقتل العديد من أهلها، وخرّب بعض عمراها ثمّ تراجع عن ذلك، فظلّ الموحدون يتولون السلطة في تلمسان، ويديرون شؤون المغرب

¹ شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان. ديوان المطبوعات الجامعية السياحية المركزية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 2011م، ج: 1، ص: 27.

² شقرون جيلالي، المرجع السابق، ص: 01.

³ المسجد الجامع: مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب 55 مترا، وعرضه من الشرق إلى الغرب 50 مترا. ينظر: مؤنس حسين، المرجع السابق، ص: 32.

⁴ السيّد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 2011م، ص: 663-664.

⁵ عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1990، 2م، ص: 252.

الأوسط منها، وازداد اهتمامهم بها لموقعها وحيويتها⁽¹⁾، وتزايد النشاط التجاري بها الذي أدى إلى التوسع العمراني من جهة، وانتشار التعريب والثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى، وبذلك حظيت هذه المدينة بعناية من قبل الموحدين خاصة من قبل عبد المؤمن الذي أبقى عليها كمقر لولايتهم، وجعلها كمركز ثقافي بالدرجة الأولى، فقام بتجديد مسجد تلمسان الجامع⁽²⁾، وبني لنفسه بها قصر المشور سنة 540هـ/1145م⁽³⁾، وفي نفس السنة أمر ببناء أسوار تاجرة من تلمسان، وبني جامعها وحصن المدينة وأعلى سورها⁽⁴⁾.

وفي سنة 542هـ/1147م أقام بتلمسان الحديثة تاقرات ستة أشهر، جدد أثناءها بناء دورها، وحصنها غاية التحصين بناء سورها أي أقادير، وأما تاقرات، فإن السيد أبا عمران موسى الذي شيد بناءها وأوسع تخطيطها وأدار سياج الأسوار عليها، كما أتم بناء جامعها الكبير الذي بناه المرابطون ولم يتموه، وقبل عودته إلى المغرب الأقصى جعل من تلمسان قاعدة الولاية الغربية من المغرب الأوسط⁽⁵⁾، كما يضاف إلى ذلك تجديد بناء منار الجامع الأعظم بتلمسان ومنار أقادير بها أيضا سنة 652هـ/1254م، وتم بناء ضريح الشيخ أبي مدين شعيب بالعباد العلوي من تلمسان⁽⁶⁾ الذي بناه محمد الناصر بن المنصور سنة 595هـ-611هـ / 1199م-1214م⁽⁷⁾.

¹ فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية ثقافية). موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2002م، ج:2، ص:97.

² شقرون جيلالي، المرجع السابق، ص: 02.

³ الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 60.

⁴ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 189.

⁵ شاوش محمد بن رمضان، المرجع السابق، ص: 58.

⁶ ينظر الملحق رقم 01.

⁷ الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 61.

فلم يكن اهتمام الموحدين بالجانب العمراني فقط، بل تعدى ذلك إلى الجانب الثقافي، فقد اهتم الولاة بها خاصة من قبل عبد المؤمن بن علي الذي لقبه ابن سعيد بسليطان الغرب الأوسط⁽¹⁾، كان مهتماً بالعلم والمعرفة، ويتضح ذلك من خلال المناظرات التي كانت تتم بين العلماء والأدباء وغيرهم⁽²⁾ وعقد مجالس العلم، ونشر التعليم الإجباري حيث استعمل أماكن التعليم التي عرفت قبل عصرهم من كتاتيب ومساجد ورباطات، وزوايا، وأسس بها دار التعليم، إدارة الإقليم⁽³⁾، فنشأ بها العلماء ويكفي تصفح كتاب البستان لابن مريم للتعرف على ما وصلت إليه من تطور في ميدان الفكر والثقافة، وما أنجبتته من رجال العلم، ومن أعلامه المشهورين محمد ابن إبراهيم بن أحمد الشهير بالآبلي وأبو مدين شعيب⁽⁴⁾.

فإنّ تلمسان هي المدينة الوحيدة التي على ما أصابها من حروب وفتن احتفظت ببعض آثارها العتيقة من جوامع ومساجد وضرائح ذات قيمة تاريخية وفنية⁽⁵⁾، حيث لقت بالعديد من الأسماء نذكر منها: لؤلؤة المغرب، جوهرة المغرب، عروس المغرب الأوسط، وأم بلاد زناتة، وغرناطة وإفريقيا، وكانت مثل ملك على رأسها تاج وحاضرة المغرب الأوسط⁽⁶⁾.

¹ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب. تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، د.ت.ن، ج:1، ص: 427.

² راجح جميلة، المرجع السابق، ص: 51.

³ شقرون جيلالي، المرجع السابق، ص: 02.

⁴ عبان عبد الرحمان، الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين دراسة في الموضوعات وبنيتها (ابن معطي نموذجاً). مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص الأدب العربي الجزائري القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاسي مرياح، ورقلة، 2007م-2008م، غير منشورة، ص: 26.

⁵ شاوش الحاج محمد بن رمضان، المرجع السابق، ص: 160.

⁶ الدراحي بوزياني، المرجع السابق، ص: 62.

2) وهران⁽¹⁾:

هي مدينة بناها الأفارقة الأقدمون، وسميت بإيفري أي الكهف ثم وسعها الأندلسيون⁽²⁾، فهي ربوة مطلة على البحر، وبأعلاها ثنية يجمع فيها المتعبدون، وهو موضع معظم عندهم⁽³⁾، تبعد عن تلمسان بنحو مائة وأربعين ميلا⁽⁴⁾، ومن مدينة تنس إلى مدينة وهران سبع مراحل، ومن مدينة وهران إلى مدينة سبتة⁽⁵⁾، وبني هذه المدينة محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين الذين ينتجعون مرسى وهران⁽⁶⁾.

ووصفت هذه المدينة من طرف عدة مؤرخين نذكر منهم ياقوت الحموي الذي قال عنها أنّها: " مدينة على البرّ الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان سرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، وأكثر أهلها تجار لا يعدو نفعهم أنفسهم، ومنها إلى تنس ثماني مراحل"⁽⁷⁾، أما البكري فقال: " بأنها مدينة حصينة ذات مياه سائحة وأرجاء، ولها مسجد جامع"⁽⁸⁾، وذكر في كتاب صورة الأرض لابن حوقل أنّ لها مرسى في غاية السلامة والصون من كلّ ريح ولا يوجد مثله في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى، فقد كنفته الجبال وله مدخل أمن وعليها سور، توجد فيها بساتين وأجنة كثيرة فيها من جميع الفواكه⁽⁹⁾.

¹- وهران: بفتح أوله وسكون ثانيه، وآخره نون. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج:05، ص:385.

²- الوزان الحسن، المصدر السابق، ج:2، ص:30.

³- النويري، المصدر السابق، ج:24، ص:161.

⁴- الوزان الحسن، المصدر السابق، ج:02، ص:30.

⁵- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص: 257.

⁶- البكري، المصدر السابق، ص: 70.

⁷- الحموي، المصدر السابق، ج: 5، ص: 385.

⁸- البكري، المصدر السابق، ص: 70.

⁹- ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 79.

تحرك عبد المؤمن بن علي بقواته صوب تلمسان سنة 534هـ/1139م، فحاصرها وقضى على قوة المرابطين بها ثم واصل زحفه نحو وهران⁽¹⁾، ودخلها عنوة وذلك في شهر محرم من سنة 540هـ/1145م⁽²⁾، ودخل الموحدون وهران فقتلوا من كان بها من المرابطين⁽³⁾، وبذلك زال حكمهم من وهران⁽⁴⁾.

ظهر بوهرا في عهد الموحدين جملة من العلماء من بينهم: محمد بن محرز الوهراني توفي سنة 575هـ/1179م، برز هذا الأخير في مجال الأدب⁽⁵⁾.

3) جزائر بني مزغنة:

هي اسم لجزر صخرية كانت أمام مركز الجزائر حيث كانت تقيم بها قبيلة بربرية تدعى بني مزغنة⁽⁶⁾، وسمي المكان جزائر بني مزغنة، ثم حذف اسم القبيلة وبقيت جزائر⁽⁷⁾، وهي قديمة من بناء قبيلة إفريقية مزغنة، أما الإسبان يسمونها أُلجي⁽⁸⁾.

تقع هذه المدينة على ساحل البحر من أرض الشمال الإفريقي على خط عرض 37⁰ شمالا، وخط طول 44⁰ شرقا⁽⁹⁾، أما موقعها فهي على ضفة البحر بين إفريقية والمغرب، بينها وبين بجاية

¹- عبان عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 18.

²- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 188.

³- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 697.

⁴- عبان عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 18.

⁵- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 24.

⁶- بني مزغنة: هي عشيرة بربرية صنهاجية سكنت بجوار هذا المكان حوالي ق2هـ أو 3هـ/8م أو 9م. ينظر: الجيلالي عبد الرحمان،

تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدينة، مليانة). دار الأمة للنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2007م، ص: 15.

⁷- جزائر: معناها الجزر سميت بذلك لأنها مجاورة لجزر ميورقة منورقة، واليابسة وكانت في عهد الرومان تسمى إيكسيوم. ينظر:

الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 37، إيكسيوم: إي: معناها الجزيرة، وكسيوم: معناها الشوك أو طيور غير طائرة كما

يقولون. ينظر: الجيلالي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 09.

⁸- الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 37.

⁹- الجيلالي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 08.

أربعة أيام⁽¹⁾، وقال أبو عبيد الله البكري عنها: " جزائر بني مزغناي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار عجيبة، وآزاج⁽²⁾ محكمة تدل على أنها كانت دار ملك لسالف الأمم ... لها أسواق ومسجد جامع، وكانت بمدينة بني مزغنة كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدير من الشرق إلى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين مفصص كثير النقوش والصور، ومرساها مأمون لها عين عذبة يقصد إليه أهل السفنمن إفريقية، والأندلس وغيرها"⁽³⁾.

أما الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق فذكر أنّ من شرشال إلى جزائر بني مزغنة سبعون ميلا، ومدينة الجزائر على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار وهي عامرة أهلة، وتجارتها مريجة، وأسواقها قائمة، وصناعاتها نافعة، ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر وزراعتها الحنطة والشعير، وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم⁽⁴⁾، ويرجع الفضل في تميمها، وتمدينها إلى مهاجرة الأندلسيين وقد عني بها المرابطون، وأنشأ يوسف بن تاشفين بها مسجدا ثم مدّها الموحدون⁽⁵⁾، وذلك بعد دخول عبد المؤمن بن علي سنة 546هـ/1152م⁽⁶⁾، وذلك عندما كان متجها إلى بجاية⁽⁷⁾.

شهدت حياة علمية وثقافية منذ تأسيسها على يد بلكين بن حماد 447هـ - 454هـ/1055م - 1062م⁽⁸⁾، فنبغ في هذه المدينة في مختلف عصورها شعراء وأعلام في الفقه والآداب والتصوف، وكانت مراكز التعليم بها مساجد تؤدي دورين تعبدي وتعليمي بالإضافة إلى

¹ الحموي، المصدر السابق، ج:2. ص: 66.

² أزاج: أي عقود وأقبية طويلة. ينظر: الجليلي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 14.

³ البكري، المصدر السابق، ص: 66.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ص: 258.

⁵ مؤنس حسين، المرجع السابق، ص: 33.

⁶ حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ. دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1987م، ج: 1، ص: 269.

⁷ عنان محمد عبد الله، المرجع السابق، ص: 280.

⁸ بلكين بن حماد: هو بلكين بن الزيري بن مناد العميري الصنهاجي وهو جد باديس توفي في ذي الحجة سنة 373هـ/

984م. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج: 1، ص: 286.

الزوايا، أما نبغاء هذه المدينة في القرنين السادس والسابع الهجري أي الثاني عشر والثالث عشر ميلادي هم: عبد الله بن حجاج بن يوسف الجزائري ت 640هـ / 1243م، كان نحويا فقيها، وأبو محمد بن المنعم الجزائري الذي اشتهر بالشعر، وأبو عبد الله محمد بن العطار الجزائري شاعر المدائح النبوية ومن قوله⁽¹⁾:

أَهْدَتْ لَنَا طَيْبَ الرِّوَايحِ يَثْرِبُ فَهَبُوبِهَا عِنْدَ النَّسِيمِ يُطْرِبُ.
رَقَتْ فِرْقَ فِرْقٍ مِنَ الصَّبَابَةِ وَالْأَسَى قَلْبُ بِنِيرَانِ الْبِعَادِ يُعَذِّبُ.
شَوْقًا إِلَى أَسْنَى نَبِيِّ حُبِّهِ كَنْزُ النَّجَاةِ فَنِعْمَ هَذَا الْمَطْلَبُ.

4(تاهرت)⁽²⁾:

هي مدينة قام ببناءها عبد الرحمان بن رستم⁽³⁾، الذي قام باختيار موضع يسمى تيهرت الذي يمتاز بجودة الهواء النقي، وكثرة المياه، وخصب الأراضي، وقابل للعمارة والتعمير، وهي بعيدة من القيروان تفصل بينها منطقة الزاب وجبال الأوراس⁽⁴⁾.

لقد تحدث البكري عن كيفية بناءها فقال: "أنهم لما أرادوا بناء تاهرت كانوا يبنون التّهار، فإذا جنّ الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة، وقبيلتها لواطة⁽⁵⁾ وهوارة، وبغريها زواغة، وبجنوبها مطماطة وزناتة، وعلى خمسة أميال منها تاهرت القديمة وهي

¹ الجليلي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 222-223.

² تاهرت: بفتح التاء المثناة من فوق، وألف وهاء وسكون الراء المهملة، وفي آخرها تاء ثانية. ينظر: الباروني سليمان باشا، أزهار الرياضة في أئمة وملوك الإباضية. ب.د.ن، ب.ط، ب.ت.ن، ص: 15.

³ عبد الرحمان بن رستم: هو بن بهرام فارسي الأصل، أول من ملك من الرستميين وكان من فقهاء الإباضية بإفريقية معروفا بالزهد والتواضع ت 171هـ/787م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج: 03، ص: 306. تولى ولاية تيهرت سنة ستين ومائة وذكر بعضهم أنه ولي على رأس إثنين وستين ومائة. ينظر: أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم. تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، د.ط، 1979م، ص: 53.

⁴ الحمدي أحمد، الوصف المجالي. المجلة الخلدونية، عدد خاص، جامعة ابن خلدون، تيارت، أكتوبر 2009م، ص: 05.

⁵ لواطة: قبيلة وهي بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 6، ص: 152.

حصن لبر فجانة، وهو في شرقي الحديثة⁽¹⁾، حيث يذكر في هذا الصدد ابن حوقل أنّ تاهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة والأخرى محدثة، والقديمة ذات سور وهي على جبل ليس بالعالي وفيها الكثير من الناس وبها جامع، والمحدثة مدينة أيضا فيها جامع كتاهرت القديمة، وفيها بساتين وأشجار⁽²⁾.

وكذلك قال عنها البكري: "مدينة تيهرت مصورة لها ثلاثة أبواب باب الصفا، وباب المنازل، وباب الأندلس، وباب المطاحن وغيرها، وهي في سفح جبل يقال له جزول، ولها قصبه مشرفة على السوق تسمى المعصومة، وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة⁽³⁾ ... بني بها المسجد الجامع وهو من أربع بلاطات"⁽⁴⁾، بينما الإدريسي يرى أنّ بين مدينة تاهرت والبحر مراحل، ومدينة تاهرت كانت فيما سلف من الزمن مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة⁽⁵⁾.

ولقد اختط بها البيوت والقصور والأسواق والحمامات، والمساجد والفنادق، يحيط بالكل سور محكم، وتفنونوا تدريجيا في عمارتها وتنظيمها، حتى كانت عروس تلك الأقطاب⁽⁶⁾، وفخر تلك الديار، فأصبحت كما وصفها المؤرخون أنّها عراق المغرب وبلخ⁽⁷⁾ المغرب، وأنّها قاعدة المغرب الأوسط⁽⁸⁾، وذلك لازدهار التجارة بها داخليا وخارجيا مع السودان والصحراء الكبرى والأندلس، والمغرب الأقصى والحجاز⁽⁹⁾.

¹- البكري، المصدر السابق، ص: 67.

²- ابن حوقل، المسالك والممالك للمفاوز والمهالك. مدينة ليدن المحروسة، د.ط، 1872م، ص: 86.

³- البكري، المصدر السابق، ص: 66.

⁴- المصدر نفسه، ص: 68.

⁵- الإدريسي، المصدر السابق، ص: 60.

⁶- الباروني، المرجع السابق، ص: 08.

⁷- بلخ: هي من البقاع التي كانت يضرب بها المثل في الحضارة والمدينة وال عمران بالشرق بصدر الإسلام وخصوصا في دولة بني العباس المعاصرة للدولة الرستميّين. ينظر: الباروني، المرجع السابق، ص: 09.

⁸- المرجع نفسه، ص: 10.

⁹- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2007م، ج: 1، ص: 100.

وهي تعد أقدم مركز ثقافي بالمغرب الأوسط حيث كانت لها روابط ثقافية واجتماعية مع الأندلس، ولم تنل تاهرت عناية عبد المؤمن بن علي وخلفاءه 524هـ-558هـ/1130م-1163م⁽¹⁾، غير أنّ الموحدين نشروا مبادئهم بتاهرت، ونشطوا بها تحفيظ القرآن⁽²⁾.

5) بجاية:

أسسها الفينيقيون وسموها صلدة، ثم احتلها الرومان ودعوها صلداي وخرىها بعد ذلك الوندال والبربر، إلا أن جددتها الناصر الحمادي عام 468هـ/1076م ودعاها الناصرية، وهذه المدينة تقع في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط، تحيط بها أسوار عالية متينة، وتمتد عرضا على خاصرة الجبل في مسافة لا يمكن تصورها⁽³⁾.

فبجاية مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها، والبحر منها في ثلاث جهات في الشرق والغرب والجنوب، ولها طريق إلى جهة الغرب يسمى بالمضيق على ضفة النهر المسمى بالوادي الكبير، والطريق القبلية إلى قلعة حماد، ولا يوجد بها طريق سهلة إلا من جهة الغرب، وليس بينها وبين صقلية غير ثلاثة بحار، وهي مرسى عظيمة⁽⁴⁾، وذكر الإدريسي أنّها مدينة على البحر لكنّها على جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى⁽⁵⁾.

تأسست المدينة في بداية النصف الثاني من القرنين الخامس هجري والحادي عشر ميلادي أي 460هـ / 1067م على أيدي الأمير الناصر بن علناس⁽⁶⁾، ونظرا لمينائها المرتبط بعاصمة بني حماد

¹ الجيلاي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 71.

² عبان عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 26.

³ الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 50.

⁴ مجهول، الاستبصار في ذكر عجائب الأمصار. ص: 20.

⁵ الإدريسي، المصدر السابق، ص: 259.

⁶ بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ج: 1، ص: 157.

وكان أهلا بالسكان الأندلسيين جعله يمثل طريقا هاما من طرق المواصلات⁽¹⁾.

تداول على حكم دولة بني حماد عدّة أمراء، وكان آخرهم يحيى بن عبد العزيز 515هـ-547هـ/1121م-1152م، فكانت فترة حكمه فترة اضمحلال وسقوط الدولة⁽²⁾، مما أدى إلى تحرك عبد المؤمن بن علي إلى بجاية⁽³⁾ سنة 531هـ/1136م⁽⁴⁾، بعدما انتهى من فرض سيطرته على كل المغرب الأقصى⁽⁵⁾، فجمع جيوشا عظيمة وخرج من مراكش متوجها نحوها فحاصرها سنة 540هـ/1145م، وضيق عليها فذلك دفع يحيى بن عبد العزيز إلى الهروب بعد البحر نحو مدينة بونة فقسطنطينة، فعاهده عبد المؤمن بتأمين نفسه وأهله⁽⁶⁾ ودخلها سنة 547هـ/1152م⁽⁷⁾.

شهدت بجاية نهضة علمية وفكرية وثقافية هائلة خلال العصر الحمادي، فقد أقيمت بها مدارس ومعاهد، ونبغ بها علماء وشعراء⁽⁸⁾ بفضل تشجيع الأمراء للعلماء والمفكرين، فقد كانوا يفضلون العلماء على سائر الطبقات ويقدمونهم في الدولة⁽⁹⁾، فكانت مدينة جليلة ومركز علم وعلماء، وكانت قد تمديننت على أيدي الناصر بن علناس⁽¹⁰⁾.

وزادت أهمية بجاية في عهد الموحدين حيث كان ابن تومرت يدرس العلم والوعظ، واجتمع عليه الناس ومالت إليه القلوب⁽¹¹⁾، وتمّ بناء مسجد عرف باسمه وهو باقي إلى اليوم بضبيعة

¹- روجي الهادي إدريس، المرجع السابق، ص: 107.

²- عنان محمد بن عبد الله، المرجع السابق، ص: 282.

³- ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. ص: 102.

⁴- محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية. د.ط، 2006، ص: 157.

⁵- بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ج: 1، ص: 194.

⁶- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص: 272.

⁷- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 194.

⁸- بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995، ج: 1، ص:

15.

⁹- عويس عبد الحليم، المرجع السابق، ص: 249.

¹⁰- مؤنس حسين، المرجع السابق، ص: 33.

¹¹- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص: 296.

ملالة⁽¹⁾ فعبد الواحد المراكشي قال في كتابه المعجب: " لا أدري إن بني علي عهده أو بعده"⁽²⁾ ، اتخذ هذا المسجد مقرا له وأصبح مدرسة تستقطب الطلبة من كل مكان لعدة أشهر نشأت بينه وبين رواده وشائج مكينة من الألفة والأخوة⁽³⁾، ورباط ملالة كان لقاء المهدي مع عبد المؤمن بن علي فقال له: " العلم الذي تطلبه بالمشرق تجده بالمغرب"⁽⁴⁾، وكان عبد المؤمن يؤدي صلاة الصبح بأحد مساجدها بصحبة عمه⁽⁵⁾.

وشهدت المدينة قدوم العديد من طلبة الموحدين إليها⁽⁶⁾، وتمّ تجديد الرياض الرفيع والرياض البديع⁽⁷⁾ بها على عهد واليها أبي الربيع سليمان حفيد عبد المؤمن بن علي⁽⁸⁾.

فإنّ تلمسان ويجاية من أهم حواضر المغرب الأوسط السياسية والفكرية برز فيهما العديد من العلماء، كما برزت حواضر أخرى كان بها إشعاع علمي مثل: قسنطينة ووهران، جزائر بني مزغنة، وبونة وواركالا⁽⁹⁾.

¹ ملالة: هي ضيعة تقع على فرسخ أقام بها ابن تومرت أشهر. ينظر: المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص ص: 247-248.

² المصدر نفسه، ص: 248.

³ النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت. ص: 91.

⁴ مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. ص: 106.

⁵ عباس بن يوسف، عبد المؤمن موحد بلاد المغرب العربي. موفم للنشر، د.ط، 2003م، ص: 11.

⁶ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 194.

⁷ الرياض البديع والرياض الرفيع: كان بنو حماد شيدهما من قبل، فأصاحهما الخراب. ينظر: الملي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج: 3، ص: 869.

⁸ الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 61.

⁹ عشي علي، المغرب الأوسط في عهد الموحدين دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية الفكرية. مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، غير منشورة، 1433هـ-1434هـ/2011م-2012م، ص: 65.

6) بونة⁽¹⁾

كانت تسمى قديما أوربونة في عهد الرومان⁽²⁾، وسميت كذلك هيبون⁽³⁾، أما العرب فأطلقوا عليها تسمية بلد العناب لكثرة ما فيها من هذه الثمار، والمسيحيون يسمونها بون أي الجديدة، وهي تسمية أقرب إلى الصواب لأنّ بها أجود أراضي بلاد البربر، وأكثرها خصبا وأنقاها هواء⁽⁴⁾.

تقع على ساحل البحر المتوسط على بعد نحو مائة وعشرين ميلا غربا⁽⁵⁾، وهي في خليج نوميدا على بعد أربعين فرسخا من مدينة تونس⁽⁶⁾، وتعتبر أول حد لبلاد إفريقية على حد قول عبد الواحد المراكشي⁽⁷⁾، فهذه المدينة " بونة " بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغناي⁽⁸⁾ تحيط بها أسوار حصينة ولها بابان رئيسيان يفضي أحدهما إلى البحر ويفضي الثاني إلى جهة الحصن⁽⁹⁾.

وقد بنيت مدينة أخرى حديثة تبعد عن الأولى بنحو ميلين، واستعملت في بناءها أحجار المدينة القديمة التي تمّ تخريبها، وهي حاليا عنابة⁽¹⁰⁾، ووصفها ابن حوقل في كتابه "مدينة بونة مدينة مقتدرة، وليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ومقدارها في رقعتها كالإريس، وهي على البحر، ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة، وأرياح متوسطة، وفيها خصب ورخص موصوف، وفواكه كثيرة وبساتين قريبة

¹- بونة: بضم السكون. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج:1، ص: 512.

²- الوزان الحسن، المصدر السابق، ج:2، ص: 61.

³- كارينجال مارمول، إفريقيا. تر: محمد حجي، محمد رينير، محمد الأخضر وآخرون، دار النشر للمعرفة، الرباط، د. ط، 1989م، ج: 3، ص: 07.

⁴- المصدر نفسه، ج: 03، ص: 08.

⁵- الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 61.

⁶- كارينجال مارمول، المصدر السابق، ج: 3، ص: 07.

⁷- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص: 273.

⁸- الحموي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 512.

⁹- كارينجال مارمول، المصدر السابق، ج: 03، ص: 08.

¹⁰- عنابة: سميت بهذا الاسم لكثرة العنب بها. ينظر: الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 61.

وأكثر فاكهتها من باديتها والقمح والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له، وبها معادن الحديد كثيرة، ويزرع بها الكتان⁽¹⁾."

أما البكري فقال عنها: "تطل بونة على جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد، ومن العجائب أنه فيه مسجدا لا ينزل عليه شيء من ذلك الثلج وإن عمّ الجبل كله، ومدينة بونة برية بحرية كثيرة اللحم والعسل واللبن، وأكثر لحومها البقر ... وحول بونة قبائل كثيرة من البربر مصمودة وأوربة وغيرها، وأكثر تجارها أندلسيون⁽²⁾". وهي كثيفة السكان، لكن الدور الجميلة بها قليلة، وفيها جامع في غاية الحسن مشيد على شاطئ البحر⁽³⁾.

وينسب الحموي في كتابه معجم البلدان إلى بونة مجموعة من العلماء منهم أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني فقيه مالكي من أعيان أصحاب أبي الحسن القابسي له كتاب في شرح الموطأ وأصله من الأندلس انتقل إلى إفريقية فأقام ببونة فنسب إليها ومات قبل سنة 440هـ / 1048م⁽⁴⁾.

تولى حكم بونة الوالي الحارث بن العزيز الذي استعان بالنورمان⁽⁵⁾، فسارت قوة موحدية من بجاية إلى مدينة بونة⁽⁶⁾، فتمكنوا من الاستيلاء عليها سنة 551هـ / 1156م⁽⁷⁾.

¹ ابن حوقل، المسالك والممالك للمفاوز والمهالك. ص: 77.

² البكري، المصدر السابق، ص: 55.

³ الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 61.

⁴ الحموي، المصدر السابق، ج: 01، ص: 512.

⁵ الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 41.

⁶ عنان محمد بن عبد الله، المرجع السابق، ص: 293.

⁷ المليي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج: 03، ص: 791.

7 قسنطينة⁽¹⁾:

اسمها في القديم سيرتا وهو اسم كنعاني فينيقي فيها اشتهر ماسينيسا الشجاع الذي أراد أن يحصل على استقلال البربر بواسطة روما فخابت أماله ثم أصبحت مستعمرة رومانية إلى أن خرب البربر فأعاد الإمبراطور قسطنطين في أول ق 4 م بناءها وسميت باسمه فخففها الاستعمال العربي بحذف الياء والطاء فصارت قسنطينة وبذلك تتميز عن القسطنطينية العظمى التركية⁽²⁾.

هي مدينة قديمة بنيت في عهد الرومان، وذلك نظرا لأسواقها العتيقة العالية السميكة المبنية بالحجر المنحوت المسود، وهي واقعة على جبل شهيق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية. يمر عند قدميها نهر اسمه سوفغمار⁽³⁾، ويحدها من جهة الغرب إقليم بجاية عند موقع جيحري، ويحدها من الشرق البلاد التي اختصت بإفريقيا، وفي الجنوب تشمل الجزء الذي يمر بها من جبل الأطلس، ويمتد ما وراءه إلى نوميديا، ويحدها من الشمال البحر المتوسط⁽⁴⁾، ومن مدينة بونة إلى مدينة قسنطينة التي هي إحدى حدي إفريقية خمس مراحل، وقسنطينة بينها وبين البحر مرحلتان أو أكثر من ذلك قليلا هذا ما على ساحل البحر أو قريب منه من مدن إفريقية⁽⁵⁾.

وذكر الحموي على أنها قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد، وهي من حدود إفريقية مما يلي المغرب، وتزاور عنها قلعة بني حماد ذات الجنوب في جبال وأراضي وعرة، ومن مدينة قسنطينة إلى مدينة ميلة⁽⁶⁾، وهي حسب رأي البكري مدينة أولية كبيرة حصينة ومنيعة لم يعرف أحصن منها، وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن قد أحاطت بها، وتقع هذه الأنهار في

¹ قسنطينة: قُسْنَطِينِيَّةُ بضم أوله وفتح ثانيه ثمَّ النون وكسر الطاء وياء مثناة من تحت، ونون أخرى بعدها ياء خفيفة والهاء، مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج: 4، ص: 349.

² الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 55.

⁽³⁾ سوفغمار: معناها سوق النهر أو الواد في بعض اللهجات البربرية ولكن معنى باقي الكلمة لم يوضح بعد والظاهر أن الكلمة كلها تعني وادي الرمل. ينظر: المصدر نفسه، ج: 02، ص: 55.

⁽⁴⁾ كاربخال لمارمول، المصدر السابق، ج: 03، ص: 05.

⁽⁵⁾ المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص: 259.

⁽⁶⁾ الحموي، المصدر السابق، ج: 4، ص: 349.

خندق بعيد القعر متناهي البعد قد عقد في أسفله قنطرة على أربع حنايا، ثم بني عليها قنطرة ثانية، ثم على الثانية قنطرة ثالثة، ويسكن قسنطينة قبائل شتى من أهل ميله ونفزاوة⁽¹⁾، وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة⁽²⁾ وهي مدينة متضررة جدا ومليئة بالدور الجميلة، والبنائات المحترمة كالجامع الكبير والمدارس والزوايا⁽³⁾.

قام عبد المؤمن بن علي من محاصرة بجاية واقتحامها سنة 547هـ/1152م فر يحي بن عبد العزيز الحمادي إلى عنابة فقسنطينة⁽⁴⁾، وبها تمت محاصرته⁽⁵⁾، فنزل عنها للموحدين مستأمنا لنفسه، وسكن بقصر ابن عشيرة من سلا وكانت وفاته به⁽⁶⁾، وتبرز مكانة قسنطينة كحاضرة علمية في عهد الموحدين من خلال الشاعر أبي الحسن ابن الفكون القسنطيني الذي وصف مدينة الناصرية يقول⁽⁷⁾:

دَعَّ الْعِرَاقَ وَبَغْدَادَ وَشَامِهَا ف " النَّاصِرِيَّةُ " مَا أَنْ مِثْلَهَا بَلَدُ.
بَرٌّ وَبَحْرٌ وَمَرَجٌ لِلْعُيُونِ بِهِ مَسَارِحُ بَانَ عَنْهَا الْهَمُّ وَالنَّكَدُ.
حَيْثُ الْهَوَى وَالْهَوَاءُ الطَّلُقُ مُجْتَمَع حَيْثُ الْغِنَى وَالْمُنَى وَالْعَيْشَةُ الرَّغْدُ.

وكذلك من خلال الجامع الكبير الذي بني في عهد الحماديين⁽⁸⁾.

(1) نفزاوة: وهم بنو تطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك أو بطونهم كثيرة مثل غساسة وسوماتة. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 6، ص: 150.

(2) البكري، المصدر السابق، ص: 63.

(3) الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 56.

(4) بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر. ج: 1، ص: 194.

(5) ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. ص: 113.

(6) ابن الخطيب، أعمال الأعلام. ص: 335.

(7) الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 61.

(8) عويس عبد الحليم، المرجع السابق، ص: 280.

8) وارجلان⁽¹⁾:

هي كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات، يسكنها قوم من البربر⁽²⁾، ذكر البكري أن بين وارجلان وقلعة أبي طويل مسيرة ثلاثة عشر يوما، وقال أيضا: " أن وارجلان هي سبعة حصون للبربر أكبرها يسمى أغرم أن تكامن أي حصن العهود"⁽³⁾.

كانت حاضرة علمية في عهد الموحدين، ولديها العلامة أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلان سنة 500هـ/1106م توفي سنة 570هـ/1174م، له تأليف في تفسير القرآن فيه سبعين جزء⁽⁴⁾، كما تزهو وركلا بجامعها الكبير الذي كان مقرا للعلم والتشاور، ومولدا للعلماء والفقهاء⁽⁵⁾.

شهدت حواضر المغرب الأوسط أيام الموحدين نهضة علمية لا مثيل لها خاصة بجاية وتلمسان اللتان برزتا في عهد الحماديين والمرابطيين، لكن حظيتا بشهرة كبيرة خلال الموحدين، كما ظهرت حواضر أخرى مثل قسنطينة ووهران وجزائر بني مزغنة وبونة ووارجلان، فكل هذه الحواضر استهوت العديد من الرحالة والمفكرين.

(1) وارجلان: بفتح أوله، وسكون ثانيه وفتح الجيم وآخره نون. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج: 5، ص: 371.

(2) المصدر نفسه، ج: 5، ص: 371.

(3) البكري، المصدر السابق، ص: 182.

(4) الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 21.

(5) عشي علي، المرجع السابق، ص: 97.

المبحث الثالث: المراكز التعليمية.

قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾⁽¹⁾ ، فهذه الآية أول آية أنزلت على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، وهي تحثنا على طلب العلم لتسخيره في خدمة البشرية، وهذا ما جعل العديد من الحضارات تهتم به وتولي له أهمية كبيرة منها الحضارة الموحدية حيث قامت بإنشاء العديد من المنشآت الدينية، مثل: الكتاتيب والمساجد والمدارس وغيرها، وهذا ما جعلها وجهة للعديد من العلماء والطلاب.

أ) الكتاب:

لغة: بضم الكاف وتشديد التاء، هو موضع تعليم الصبيان⁽²⁾، وجمعه الكتاتيب والمكاتب، والمكْتَبُ موضع التعليم، والمكْتَبُ المعلم، والكتاب الصبيان⁽³⁾، فكل من الكُتَابِ والمكْتَبِ استعمل كمكان لتعليم الصبيان⁽⁴⁾، واسمه من التَكْتِيب وتعليم الكتابة⁽⁵⁾.

أما اصطلاحا فهو عبارة عن مدرسة يدرس فيها فقراء المسلمين حيث يتعلمون فيها حفظ القرآن الكريم، والقراءة والكتابة⁽⁶⁾.

وجد الكتاب قبل الإسلام لكن كان قليل الانتشار، كما يرى البعض أنّ الكتاب يعود نشأته إلى تاريخ نشأة المسجد، وعرف انتشارا واسعا منذ نهاية المائة الأولى للهجرة في المدن والأرياف على

(1) سورة العلق، الآية 2، 1.

(2) بختاوي قاسمي، التعليم بالكتاب في المغرب الأوسط أيام حكم بني عبد الواد (633هـ-681هـ / 1235م-1554م)، دورية كان التاريخية، يونيو 2011م، العدد 12، ص: 31.

(3) ابن منظور الإفريقي المصري أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط1، 1863م،

مج: 13، ص: 18.

(4) أمين أحمد، المرجع السابق، ص: 50.

(5) طه جمال أحمد، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م) دراسة

سياسية وحضارية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د. ط، 2001م، ص: 275.

(6) قصي حسين، الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي والعثماني. المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، بنزرت، ط1،

2004م، ص: 272.

السواء، وقد عمت شهرته بلاد الإسلام⁽¹⁾، فابن حوقل أحصى في بعض مناطق صقلية وحدها قرابة ثلاثمائة كتاب كان يتداول على الواحد منها أكثر من معلم⁽²⁾.

لقد اختلف بناء الكتاب من منطقة إلى أخرى، فهي في الحواضر حانوت وفي الصحراء خيمة، وفي الجبال مغارة أو كهف⁽³⁾، وأحيانا يكون داخل الأحياء⁽⁴⁾، ويتمثل في حجرة مجاورة للمسجد⁽⁵⁾، وتزايد انتشارها في عهد الموحدين على يد جميع حكامها، وخاصة الخليفة عبد المؤمن الذي عممها في جميع أنحاء مملكته الكبيرة في كل من القرى والمدن والجبال والسهول⁽⁶⁾، فالأماكن التي كان يتعلم فيها صبية المسلمين مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم تشبه ما نسميه الآن المدارس الابتدائية⁽⁷⁾، وتعدهم إلى مرحلة التعليم في المسجد⁽⁸⁾.

كانت تتم في الكتاتيب طريقة التلقين والحفظ حيث يجلس المعلم في الكتاب لتحفيظ القرآن الكريم، وبعض المبادئ لرسم المصحف ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، ولا يخلطون ذلك بسواه

(1) سامعي إسماعيل، معالم الحضارة الإسلامية مدخل نظم علوم زراعة وصناعة وعمارة وفنون وتأثيرات. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2007م، ص: 300.

(2) ابن حوقل، صورة الأرض. ص: 120.

(3) سامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 300.

(4) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم من القرن 9 هج/15م العلوم الإنسانية والعقلية. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1421 هج/2000م، ج: 1، ص: 15.

(5) بختاوي قاسمي، المرجع السابق، ص: 31.

(6) لونس فريدة، الدور السياسي للتعليم في دولة الموحدين (524هـ-667هـ/1130م-1270م). مذكرة الماجستير في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2011م-2012م، غير منشورة، ص: 116.

(7) عبد العزيز محمد عادل، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1987م، ص: 39.

(8) التلسي بشير رمضان وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2004م، ص: 254.

في مجالس تعليمهم مثل: الحديث والفقهاء والشعر⁽¹⁾، وكان لكل تلميذ لوح صغير من الخشب وقلم من ريشة الإوز، ودواة للحبر، وكان يكتب على اللوح الدرس اليومي ويحفظه⁽²⁾، ويكون سنهم في الرابعة أو الخامسة من أعمارهم⁽³⁾، فختم المصحف كان أول خطوة في تعليم الصبيان الصغار بصورة خاصة، وكان يجب على والد الصبي أو ولي أمره أن يتفق مع المعلم على أجر معين مقابل قيامه بهذه المهمة⁽⁴⁾، وكان ذلك يتم في حانوت أو غرفة في المنزل مؤثثة ببعض الحصير⁽⁵⁾.

وفي المغرب الأوسط لم يقتصر التعليم بالكتاتيب على الذكور فقط بل كان للإناث حظ فيه لأن الإسلام جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة⁽⁶⁾، لكن، والملاحظ أن الفقهاء لم يعارضوا تعليم المرأة إلا أنهم اشترطوا عدم اختلاطهم مع الذكور، وكانت تظل الأغلبية العددية للذكور في الكتاتيب⁽⁷⁾.

أما نمط التعليم في الكتاتيب يتمثل في حفظ القرآن فرديا وجماعيا وكتابته على الألواح الخشبية، وتعليم الخط إضافة إلى تعليم مبادئ الوضوء والصلاة⁽⁸⁾، ويعد ابن تومرت من أهم المعلمين حيث درس العلم أياما بمدينة بجاية بمنطقة ملالة، حيث كان يجلس إذا فرغ على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة وهي لهذا العهد معروفة، وهناك لقيه كبير الصحابة عبد المؤمن بن علي⁽⁹⁾، وذكر الغبريني الكتاتيب موجودة بالمشرق خاصة بجاية من خلال ترجمته للشيخ أبي الحسن علي بن محمد

(1) طه جمال أحمد، المرجع السابق، ص: 272.

(2) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 15.

(3) المرجع نفسه، ص: 25.

(4) طه جمال أحمد، المرجع السابق، ص: 275.

(5) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 39.

(6) بختاوي قاسمي، المرجع السابق، ص: 33.

(7) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم، ج: 1، ص: 19.

(8) المرجع نفسه، ج: 1، ص: 15.

(9) ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 6، ص: 302.

الزواوي حيث ذكر " ولقيته وأنا على أول السنن، ففرح بي، وأخذ يقرأ ويمسح على رأسي ... وأنا يومئذ في المكتب⁽¹⁾".

ب) المساجد:

لغة: **مسجد**: بفتح الجيم محراب البيوت، ومصلى الجماعات، **مسجد**: بكسر الجيم، والمساجد جمعها المسجد اسم جامع حيث سجد عليه، وفيه حديث لا يسجد بعد أن يكون اتخذ لذلك، فأما **المسجد**: من الأرض فموضع السجود نفسه **والمسجد والمسجد**: الذي يسجد فيه، وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد وأما المسجد فإنهم جعلوه اسما للبيت⁽²⁾.

أما اصطلاحا فهو مركز ترابط الجماعة الإسلامية وهيكلها المادي الملموس، فلا تكتمل الجماعة إلا بالمسجد، يربط بين أفرادها بعضهم ببعض يتلاقون فيها للصلاة وتبادل الرأي ويقصدونه للوقوف على أخبار جماعاتهم ويلتقون مع رؤسائهم⁽³⁾.

يعد المسجد أعظم المعاهد الثقافية⁽⁴⁾، رغم اختلاف أحجامه وأشكاله⁽⁵⁾، فقد كانت تؤدي فيه أعمال مختلفة فهو مكان للعبادة، ومكان للصلاة⁽⁶⁾، ولدراسة القرآن والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم⁽⁷⁾، وفيه تخطب الخطب وكان محكمة للتقاضي⁽⁸⁾، وهي أداة لا تتجه لطبقة خاصة

(1) الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بيجاية (644هـ-714هـ). تح: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، أبريل 1979م، ص: 125.

(2) ابن منظور، المصدر السابق، مج: 7، ص ص: 125-126.

(3) مؤنس حسين، المساجد. عالم المعرفة، د.د.ن، د.ط، يناير 1981م، ص: 30.

(4) حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس (447هـ-656هـ/1055م-1258م). دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14،

1416هـ/1996م، ج: 4، ص: 399.

(5) زروق محمد، دراسات في تاريخ المغرب إفريقية الشرق. الدار البيضاء، ط4، 1991م، ص: 72.

(6) أمين أحمد، المرجع السابق، ص: 52.

(7) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج: 4، ص: 399.

(8) أمين أحمد، المرجع السابق، ص: 52.

من المجتمع بل أهما مؤسسة شعبية تتصل بعامة الناس على الدوام، وتبلغ التعاليم نفسها في كل مكان⁽¹⁾. حيث قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾⁽²⁾ ، وقوله كذلك: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾⁽³⁾.

وأول مسجد أمر الله نبيه ببنائه⁽⁴⁾ هو مسجد قباء⁽⁵⁾ الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾⁽⁶⁾.

عني حكام المغرب ببناء المساجد⁽⁷⁾ خصوصا وأن كل من الدولتين المرابطية والموحدية قامتا على أساس دعوتين دينيتين، حيث كان الطابع الديني يسود الحياة العامة في البلاد، ومن هنا كان اهتمام ولاية الأمر من المرابطين والموحدين ببناء المساجد وتعميرها باعتبارها مركز الإشعاع الفكري، فضلا عن تأدية العروض، وتنفيذ تعاليم الدين⁽⁸⁾، ولكن تصميم المساجد الموحدية لا يختلف عنه في دولة المرابطين إلا في بعض الفروق، فقد ظلت عقود المساجد بعيدة عن الزخرفة إلا ما كان من المنارات

(1) زروق محمد، المرجع السابق، ص: 72.

(2) سورة النور، الآيتان: 36-37.

(3) سورة التوبة، الآية: 18.

(4) التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م. دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص: 387.

(5) مسجد قباء: بناه الرسول عليه الصلاة والسلام لأول وصوله إلى قباء ضاحية المدينة التي تقع على ثلاثة كيلو متر جنوبها، فهو أول مسجد بني في الإسلام. ينظر: مؤنس حسين، المساجد. ص: 145.

(6) سورة التوبة، الآية. ص: 108.

(7) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 49.

(8) حسن حسن علي، المرجع السابق، ص: 396.

التي انتشرت فيها شبكات من المعينات البارزة، كما أنّها تميل إلى الارتفاع والضخامة شأن طريقة الموحدين في سائر مبانيهم، وقد ظلت العقود تتجه نحو جدار القبلة كما كان الشأن في الماضي⁽¹⁾.

كما اهتموا أيضا بترميم المساجد القديمة وإصلاحها وتزويدها باحتياجاتها، واهتموا ببناء المساجد الجامعة⁽²⁾ بالمغرب على نفس نمط جامع قرطبة⁽³⁾، فبعد استيلائهم على العاصمة مراكش أصبحت المنطقة لا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج، وأبي الموحدون دخولها لأنّ المهدي كان يقول لهم لا تدخلوها حتى تطهروها، فسأل الموحدون الفقهاء عن ذلك فقالوا لهم تبناؤنا مسجدا آخر فكان ذلك⁽⁴⁾، وذلك لأنّها في رأيهم منحرفة عن القبلة⁽⁵⁾.

ومن أهم المساجد التي أنشأها الموحدون بالمغرب الأوسط مسجد تلمسان (الجامع الأعظم) وهو من منشآت يوسف بن تاشفين⁽⁶⁾ ثم أتمه الموحدون بعد استيلائهم على تلمسان⁽⁷⁾، وفي سنة 540هـ/1145م أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ببناء أسوار تاجرة بتلمسان⁽⁸⁾، ثم جدد مسجدها، وبنى لنفسه قصر المشور⁽⁹⁾ وكذلك مسجد أبي شعيب (مسجد العباد) وهو مسجد كبير منسوب إلى سيدي أبي مدين شعيب كبير صوفية المغرب الأوسط وأعظم أوليائه⁽¹⁰⁾ وهو من بين

(1) حركات براهيم، المغرب عبر التاريخ من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، د.ط، 1420هـ/2000م، ج:1، ص: 342.

(2) المساجد الجامعة: هي التي تقوم بإنشائها الحكومة، وترتب لها الأئمة، وتتولى الإنفاق عليها، ويقوم بأمرها السلطان أو من يفوض إليه شأنها كالقاضي الذي ينصب لها الإمام في الصلوات الخمس والجمعة والعيد. ينظر: عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 49.

(3) المرجع نفسه، ص: 50.

(4) ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. ص: 108.

(5) حسن حسن علي، المرجع السابق، ص: 397.

(6) مؤنس حسين، ابن بطوطة ورحلاته. ص: 31.

(7) شاوش محمد بن رمضان، المرجع السابق، ص: 176.

(8) ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 189.

(9) شقرون جيلالي، المرجع السابق، ص: 02.

(10) ابن الأحمر، المرجع السابق، ص: 31.

الجوامع التي لا تزال قائمة بقرية العباد⁽¹⁾، وهذا الجامع تقام به صلاة الجمعة وصلاة العيدين⁽²⁾ أما في بجاية فنجد مساجد كثيرة منها مسجد ينسب إلى الشيخ الفقيه أبو زكرياء يحيى الزواوي 611هـ/ 1214م⁽³⁾، وكذلك مسجد الريحانة الذي انتقل إليه الإمام المعصوم المهدي ابن تومرت مع رفقائه حيث اتخذ مدرسة لتعليم العلم، وكان يحذر إليه زيادة على محبي العلم من الطلبة والمتعلمين جماعة من الفقهاء، فكانت فرصة للمدارسة والتناظر يبلغ فيها مذهبها الجديد في الأخذ بالأصول وانتهاج التأويل⁽⁴⁾، ولما خرج من المدينة إلى مكان غير بعيد منها يسمى رباط ملالة حيث استطاع أن يواصل إلقاء دروسه في أمن بني العزيز القاطنين بالمنطقة وأدت علاقته الطيبة مع الفقهاء إلى أن بنوا له مسجداً اتخذه مقراً، وأصبح مدرسة تستقطب الطلبة من كل مكان لعدة أشهر⁽⁵⁾.

كذلك مسجد الفقيه الصالح العابد، الزاهد الورع، الناسك أبو زكرياء المرجاني الموصلي أحد الأتقياء الأبرار، كان مسجده الذي يجتمع فيه إليه، المسجد المشهور الآن به بحومة اللؤلؤة، وهو المعروف الآن بمسجد المرجاني، وكان يجتمع إليه فيه الأفاضل والصلحاء والمتعبدون⁽⁶⁾.

بالإضافة إلى ذلك الجامع الكبير بقسنطينة الذي بناه الحماديون⁽⁷⁾، والجامع الكبير بالجزائر بني مزغنة نباه يوسف بن تاشفين أعوام 460هـ/1068م القرن 11م فلهذا المسجد منذ إنشائه إلى اليوم ما يناهز الألف سنة⁽⁸⁾، وهذا المسجد مربع الشكل يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ومن الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وقبلته بالجنوب الشرقي، وهو قائم على شاطئ متصل

(1) قرية العباد: هي مدينة صغيرة تقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان وهي كثيرة الازدهار وافرة السكان والصناع، وبها دفن ولي كبير ذو صيت شهير يسمى سيدي مدين. ينظر: الوزان الحسن، المصدر السابق، ج: 2، ص: 24.

(2) شاوش محمد بن رمضان، المرجع السابق، ص: 169.

(3) الغبريني، المصدر السابق، ص: 126.

(4) النجار عبد المجيد، المرجع السابق، ص: 90.

(5) المرجع نفسه، ص: 91.

(6) الغبريني، المصدر السابق، ص: 178.

(7) عويس عبد الحليم، المرجع السابق، ص: 280.

(8) الجليلي عبد الرحمان، الرجوع السابق، ص: 32.

بالبحر⁽¹⁾، ومسجد البطحاء⁽²⁾ الذي بني إثر حادثة محاولة قتل عبد المؤمن بن علي من قبل طائفة عزمت على الفتك به إذا نام، فأتى شيخ من أشيخ الموحدين أطلع عبد المؤمن على ذلك وقال له: "دعي الليلة أبيت في موضعك ... فإن فعلوا ما اتفقوا عليه كنت قد فديتك بنفسي ..."، فاستشهد في تلك الليلة فلما أصبح عبد المؤمن وافتقده وجده قد قتل فأخذه وحمله بين يديه على ناقه لا يقودها أحد فسارت هذه الناقه يمينا وشمالا حتى بركت وحدها، فأمر عبد المؤمن بحفر قبره ودفنه به، وبني قبة عليه، وبني بإزاء القبة جامعاً⁽³⁾.

ونخلص في الأخير أنّ المسجد خصص لمرحلة الثانية من التعليم⁽⁴⁾، وهو مستقل عن الكتاب في الكثير من الأحيان خصصت له بنايات أخرى⁽⁵⁾.

ج) الرباط:

هي ملازمة ثغر العدو، وأصله أنّ يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا، وربما سميت الخيل أنفسها رباطا، والرباط المواضبة على الأمر ولزوم الثغر ورباط⁽⁶⁾ الخيل لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁷⁾ وقيل معناها حافظوا أو واطبوا على الصلاة، والرباط في الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب⁽⁸⁾.

(1) الجليلي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 34.

(2) مسجد البطحاء: هو مسجد يقع بمدينة في نواحي شلف بشمال الشرقي من غليزان حاليا، خربت هذه المدينة فأمر عبد المؤمن بن علي ببنائها سنة 555هـ/1056م، وتعرف بالجزائر باسم السدرة. ينظر: مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج: 3، ص: 333.

(3) السلاوي، المرجع السابق، ص: 125.

(4) السامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 300.

(5) الفيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ص: 145.

(6) ابن منظور، المصدر السابق، مج: 6، ص: 82.

(7) سورة آل عمران، الآية: 200.

(8) ابن منظور، المصدر السابق، مج: 6، ص: 82.

والرباط هو المكان الذي يربط به الشخص أو مجموعة من المؤمنين وربما للجهاد أيضا⁽¹⁾، والربط جمع رباط وهي دور ضياف ينشؤها رجال الطرق الصوفية، أو بعض أهل الخير، أو كبار أهل الدولة من مالمهم الخاص، وقد تنشؤها الجماعة نفسها وتتولى أمرها، وقد فعلت الأمة ذلك تنفيذًا لما نص عليه القرآن الكريم من رعاية ابن السبيل⁽²⁾ وإكرامه وإطعامه⁽³⁾، فقال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

ولقد عرف المغرب الرباط قبل أن يعرف الزاوية، ولعل عهده به يرجع إلى زمن الفتح الإسلامي في القرن الأول للهجرة⁽⁵⁾، فأنشئ في الأول لحراسة الثغور والجهاد في سبيل الله ويعود إلى عهد القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلادي من حيث الشكل وبعض الوظائف⁽⁶⁾ منها العبادة وتلاوة القرآن والتفقه في الدين⁽⁷⁾، ولم يكن في الرباط معلمون وأساتذة دائمون فقط بل كان يتردد عليه العلماء والزهاد⁽⁸⁾، وكانت توجد في المناطق البعيدة عن العواصم ولها فضل كبير على الحركة الثقافية والتوعية الدينية من حيث أنّ معظم المساجد لا تفتح إلا للصلاة⁽⁹⁾، وتذكر المصادر أنّ الربط كانت تنتشر على طول ساحل المغرب، وقد بلغ عددها حوالي ألف رباط⁽¹⁰⁾.

(1) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 1، ص: 23-24.

(2) ابن السبيل: هو المسلم الغريب عن وطنه المسافر على الطريق الذي يحتاج إلى جانب الطعام والمأوى إلى أن يشعر بأنه بين أهله وإخوانه في أي ركن من أركان العالم الإسلامي. ينظر: مؤنس حسين، ابن بطوطة ورحلاته. ص: 22.

(3) المرجع نفسه، ص: 22.

(4) سورة البقرة، الآية: 215.

(5) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج: 4، ص: 414.

(6) سامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 300.

(7) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج: 4، ص: 415.

(8) سامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 300.

(9) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 1، ص: 24.

(10) سامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 300.

معظم الرباطات التي تنشئها الخواص هي مباني مربعة أو مستطيلة على كل من أضلاعها يضم غرف للمقيمين من الأساتذة والمتعبدين والزائرين، وهناك جانب يضم قاعة الصلاة، وبعض المرافق الأخرى حسب الحاجة والظروف، ويتميز التدريس في الرباطات عموماً بأنه لا يخضع عادة للمراقبة الرسمية، وأن شطراً مهماً من ثقافته يخصص للذكر والتصوف⁽¹⁾.

عرف الرباط منذ عهد الدولة الموحدية وذلك حسب الزركشي ففي سنة 515هـ/1121م بنى المهدي بن تومرت ببلاد هرغة رابطة للعبادة، واجتمع عليه الطلبة والقبائل فعلمهم التوحيد⁽²⁾، وكذلك يوجد ببجاية رباط يسمى رباط ملالة⁽³⁾ حيث كان عبد المؤمن بن علي يدرس على يد المهدي بن تومرت بهذا الرباط⁽⁴⁾، وأما تلمسان فعرف بها رابطة العباد⁽⁵⁾، بالإضافة إلى رباط صلب الفتح بوهران حيث كان يأوي إليه المتعبدون، وهو على أعلى ربوة تسمى صلب الكلاب⁽⁶⁾.

فأهمية الرباط لا تقل عن المسجد من حيث كونه مكاناً تشع منه الدعوة إلى الإسلام⁽⁷⁾، وكان تأسيسه قبل المدارس يقوم مقام المدرسة⁽⁸⁾، وهو مؤسسة متعددة الشعب إحداها شعبة التعليم والتي عرفت بالزوايا⁽⁹⁾.

(1) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 1، ص: 24.

(2) الزركشي، المصدر السابق، ص: 03.

(3) ابن القطان، المصدر السابق، ص: 77.

(4) الفقي عمام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس. مطبعة التجارة الحديثة، القاهرة، د.ط، د.ت.ن، ص: 264.

(5) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 1، ص: 24.

(6) السلاوي، المرجع السابق، ج: 2، ص: 65.

(7) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج: 4، ص: 413.

(8) سامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 314.

(9) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 40.

(د) الزاوية:

كلمة الزاوية مأخوذة من الفعل انزوي أي انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذ تدانوا وتضامنوا، والزاوية واحدة الزوايا⁽¹⁾.

وتطلق الزاوية أيضا على المعهد والرباط الذي تنشؤه إحدى الفرق الصوفية، وتنتشر الزوايا في الكثير من أرجاء المدن⁽²⁾.

وتعتبر الزاوية مرحلة وسطى بين الكتاب الذي هو مدرسة ابتدائية والمدرسة هي معهد ثانوي، فالزاوية تشبه ما نسميه الآن مدرسة إعدادية، وقد زادت انفصالا منذ عصر الموحدين عن الرباط⁽³⁾ خلال القرن 7هـ/13م، وحلت محله، وهذا التحول ليس تحولا فقط في التسمية بل يعني أيضا تحولا تقلصت معه بعض وظائف الرباط⁽⁴⁾، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس، و يتعبدون فيها و يعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين، و ما يتصل به من العلوم النقلية و العقلية⁽⁵⁾، وكانت لها علاقة بالمسجد⁽⁶⁾، وكثير ما تلحق بالزاوية حجرات ينزل فيها الضيوف والمنقطعون للعلم أو العبادة⁽⁷⁾، وكان على نفقتها يسكن الطالب ويأكل ويشرب ويلبس، ويتعلم، ثم يتحول في الغالب إلى مدرس بها أو غيرها من الزوايا.

(1) ابن المنظور، المصدر السابق، مج: 7، ص: 83.

(2) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج: 4، ص: 401.

(3) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 40.

(4) أسكان الحسين، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1-9هـ/7-15م). المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، د. ط، 2004م، ص: 86.

(5) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج: 4، ص: 401.

(6) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ج: 1، ص: 245.

(7) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج: 4، ص: 401.

والزاوية أنواع بسيطة تنشأ على ضريح أحد الأولياء، وزوايا ذات الولي، وزوايا الطريقة⁽¹⁾ الذي تنشؤه إحدى الفرق الصوفية⁽²⁾ مثل زاوية أبي زكرياء الزواوي ببجاية، فهي بجوار مسجده، وهذا يتضح من خلال قول الغبريني: "وحملناه، وأدخلناه زاويته، وأطبقنا الباب دونه" وكذلك: "ولما حانت صلاة الجمعة، وأخذ الناس في الرواح، وجلس الإمام على المنبر وأذن المؤذن خرج الناس من زاويته"⁽³⁾.

هـ) المدارس:

قيل درست قرأت، ودارست ذاكرت، ودرست السورة حفظتها، والمدارس والمدرس والمدرس: الموضوع الذي يدرس فيه ودرس الكتاب، والمدارس البيت الذي يدرس فيه القرآن.

أما اصطلاحا المدارس هي تلك الأماكن أو الدور والمباني المنظمة التي يقصدها طلاب العلم، ويتولى التدريس فيها معلمون وأساتذة وعلماء يكونون متفرغين لذلك، لقاء أرزاق (مراتب) تدر عليهم من الدولة⁽⁴⁾ والمدرسة يختلف مدلولها عن الأماكن التعليمية والدينية السابقة لها كالمساجد والكتاب والرباط، وهو مفهوم رسخته⁽⁵⁾، المدرسة الجديدة التي ظهرت في المشرق خلال القرن 5هـ/11م، وتميزت عن غيرها من المنشآت التعليمية⁽⁶⁾، وكان ذلك نتيجة تطور الحضارة العربية الإسلامية الذي أدى إلى تطور العلوم واتساع المعارف، ولم يعد المسجد يستوعب هذا التطور، فكان لابد من إيجاد نمط لتلبية الحاجيات التعليمية المتزايدة فكانت المدرسة، وهذا ما أدى إلى تسابق الأمراء والوجهاء والعلماء إلى إقامة العديد من المدارس منها⁽⁷⁾ المدرسة البهيقية في نيسابور⁽⁸⁾.

(1) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 40.

(2) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج: 4، ص: 401.

(3) الغبريني، المصدر السابق، ص: 129.

(4) سامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 311-312.

(5) فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ص: 141.

(6) أسكان الحسين، المرجع السابق، ص: 56.

(7) سامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 312.

(8) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج: 4، ص: 568.

لقد كانت المدارس متوفرة بالمغرب في عهد الموحدين حيث يقترن اسم عبد المؤمن بن علي وحفيده يعقوب المنصور بكثير من المدارس المنشأة، وذلك نتيجة تشجيع الحكام الموحدين للمعارف، وجلب كبار العلماء واقتراح تدوين الكتب، وفرض التعليم الإلزامي وابتكار التعليم المجاني، والتعليم باللسان البربري وتعليم النساء⁽¹⁾.

وهذه العوامل أدت إلى اهتمام الموحدين ببناء المدارس⁽²⁾، وقسموها إلى ثلاث أنواع متخصصة وهي: أولا المدرسة العامة لتخريج الموظفين أو الحفاظ الموحدين، وتكوين الإطار الإداري وثانيا المدرسة الملكية لتعليم الأمراء الموحدين، فكان الغرض من تلك المدرسة إلهاء الأمراء بالتعليم غلى نهج معين، حتى لا يكثر فراغهم وتكثر مطامعهم، وثالثا مدرسة تعليم فن الملاحة بمدينة الرباط، ولعل هذه المدرسة البحرية هي الأولى من نوعها في العالم الإسلامي⁽³⁾، ومن بين هذه المدارس نذكر مؤسسة الحفاظ بمراكش التي أنشأت لتكوين الإطارات الإدارية⁽⁴⁾ والمدرسة الملحققة بقصر عبد المؤمن، ومدرسة الوداية لتخريج الضباط البحرية⁽⁵⁾.

وذكر في كتاب الإستقصا أنّ المنصور الموحد بنى المساجد والمدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس⁽⁶⁾، ومنها نذكر: مدرسة الطالعة لسلالة⁽⁷⁾، والمدرسة التي سلمها للإمام أبي العباس السبتي، وكذلك بعض الأفراد ساهموا في إنشاء المدارس مثل: أبا الحسن الشاري الغافقي السبتي الذي ابنتى المدرسة المنسوبة إليه ببلده سبتة⁽⁸⁾.

(1) المنوني محمد، حضارة الموحدين، ص.ص: 14-24.

(2) حسن حسن علي، المرجع السابق، ص: 401.

(3) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 41-42.

(4) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 1، ص: 27.

(5) المرجع نفسه، ج: 1، ص: 345.

(6) السلوي، المرجع السابق، ج: 2، ص: 177.

(7) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 1، ص: 26.

(8) المنوني محمد، حضارة الموحدين. ص: 17.

وبالنسبة لنظام بناء المدارس فكانت تتكون من طابقين، وفي وسطه صحن مكشوف فيه فسيفة أو حوض ماء وكانت بعض المدارس متصلة بالمساجد المجاورة لها، بينما كان البعض الآخر مستقلا، ويضاف إلى ذلك أنها كانت تشتمل غالبا على عدة غرف وعلى قاعة كبيرة للدرس⁽¹⁾.

ازدهرت المعارف في عصر الموحدين بالمغرب الأوسط، فقد بنيت المدارس في تلمسان وبجاية وكانت هذه المدارس تأوي الطلبة الذين يتلقون معارف مختلفة في العلوم النقلية كعلم القراءات والتجويد، وعلم التفسير، وعلم الحديث والفقه، ومعظم العلماء المتخصصين كانوا من الأندلس ووفدوا على بلدان المغرب لتأدية رسالتهم العلمية، بالإضافة إلى علوم اللغة العربية كالنحو والبلاغة والعروض، والأدب فقد شاعت هذه العلوم في هذا العصر، ومن أبرز الشخصيات التي تولت التدريس أبو العباس المعافري، وأبو جعفر النمري⁽²⁾.

فقد تأسست في تلمسان خمس مدارس تمثل معاهد عليا متخصصة لتخريج المتخصصين⁽³⁾، مثل: مدرسة العباد (مدرسة أبي مدين شعيب) هذه المدرسة آخر نموذج بقي قائما من جملة المدارس المشيدة بتلمسان أثناء القرون الوسطى، وموقعها بغرب الجامع (أبي مدين شعيب). تبعد عنه بحوالي سبعة أمتار، وهي مبنية فوق ربوة صغيرة⁽⁴⁾.

و) المكتبات:

أحيانا يستعمل العلماء اسم بيت الحكمة كابن النديم، وأحيانا خزانة الكتب، فالخزانة كلمة معروفة وهي اسم الموضوع الذي يخزن فيه الشيء⁽⁵⁾.

(1) حسن حسن علي، المرجع السابق، ص: 401.

(2) عيان عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 32.

(3) المرجع نفسه، ص: 34.

(4) شاوش محمد بن رمضان، المرجع السابق، ص: 257.

(5) أمين أحمد، المرجع السابق، ج: 2، ص: 63.

فالمكتبات هي خزائن المعرفة، ومؤسسة ثقافية وعلمية كبيرة تحتاج إلى الأبنية المجهزة بالشروط العلمية والفنية والمادية المطلوبة، وأهميتها هي فيما تحتزنه من الكتب المتنوعة والمصنفة تصنيفاً علمياً دقيقاً يسهل الرجوع إليها⁽¹⁾. وهي من أهم المؤسسات التعليمية والثقافية فهي تعتبر تكملة بأعمال المؤسسات السابقة: الكتاب والمسجد، الرباط، المدارس⁽²⁾.

ومن أشهر المكتبات التي عرفت قديماً مكتبة بيت الحكمة⁽³⁾ بقيادة الأغلبية، يعود تأسيسها إلى أواخر القرن الثاني هجري الثامن ميلادي، وقد ضاهت بيت الحكمة ببغداد، فلقد كانت معهداً لتعليم العلوم الطبيعية والإنسانية، ومكتبة المعصومة الإباضية بتيهت، وقد كان لكل رباط مكتبة، كما توجد إلى جانب هذه المكتبات العامة مكتبات خاصة⁽⁴⁾.

أما بالنسبة إلى تأسيس المكتبات العامة بالمغرب كان في أواخر عهد الموحدين⁽⁵⁾، الذين اهتموا بتأسيس خزائن الكتب⁽⁶⁾، وأول مكتبة عمومية أسست بالمغرب كانت من طرف أبو الحسن الشاري المتوفى سنة 649هـ/1251م حيث أوقف بسبته خزانة مدرسته وهي أول خزانة وقفت بالمغرب⁽⁷⁾.

(1) قصي الحسين، المرجع السابق، ص: 187.

(2) سامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 300.

(3) مكتبة بيت الحكمة: هي بناية كبيرة بما عدد من القاعات والحجرات الواسعة الموزعة في أقسام تضم مجموعة من خزائن الكتب، في كل خزانة مجموعة من الأسفار العلمية، وكذلك وصفت بأنها دار مقسمة إلى عدة أقسام، خصص البعض منها لحفظ الكتب، والأقسام الأخرى للترجمة والنسخ والتأليف والمطالعة، وسبب إنشائها هو محاكاة الأغلبية العباسيين في الإهتمام بالعلوم الطبيعية فضلاً عن العلوم الدينية من طرف إبراهيم بن الأغلب. ينظر: التليسي بشير رمضان، الإنجازات الثقافية. ص: 82.

(4) سامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 300.

(5) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 54.

(6) المنوني محمد، حضارة الموحدين. ص: 14.

(7) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 54.

وأكبر الخزانة الخاصة على ما يبدو خزانة بني الملجوم التي تعاقب عليها شيوخ هذه الأسرة خلال القرن 6هـ/12م كله، أما بالمغرب الأوسط فقد اشتهرت بقسنطينة خزانة آل الفقون الذين منهم صاحب الرحلة الحسن ابن الفقون⁽¹⁾.

أولى الموحدون عناية فائقة للتعليم لأنه أساس الازدهار الثقافي والعلمي لأي دولة، ويظهر ذلك من خلال إنشاء المراكز التعليمية وتعددتها فأصبح التعليم يمارس في الكتاب والمساجد والزوايا، فهي تعتبر المراكز التعليمية الأولى ثم تلتها المدارس فيما بعد كما ظهرت أيضا المكتبات التي ضمت العديد من الكتب.

اتسمت الحركة الفكرية في العهد الموحي بالازدهار والتطور حيث ساهمت في ذلك عدة عوامل منها: محبة الخلفاء الموحدين للعلم في حد ذاتهم، وتشجيعهم على ذلك، والسعي إلى توفير الأمن، وهذا ما أدى إلى بروز العديد من الحواضر العلمية ببلاد المغرب الأوسط أشهرها تلمسان التي كانت مركز إشعاع ثقافي ومجاية التي تعد قبلة العديد من العلماء، وظهرت العديد من المراكز الثقافية التي أسهمت في إنعاش هذه الحركة مثل المساجد، المدارس، الزوايا، الرباطات، الكتاتيب.

(1) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 1، ص ص: 64-65.

الفصل الثاني

أهم العلوم والعلماء بالمغرب الأوسط الموحدين.

المبحث الأول: العلوم النقلية.

المبحث الثاني: العلوم العقلية.

المبحث الثالث: العلماء.

اهتمت الدولة الموحدية بالعلم كسائر الدول التي سبقتها، ولكن في عهدها بلغ النشاط الفكري ذروته في بلاد المغرب، بسبب قدوم العلماء إليها من مختلف العالم الإسلامي، والاهتمام بالطلاب وبناء المدارس والمعاهد، وهذا ما أدى إلى تطور الحركة الفكرية في مختلف فروع المعرفة مثل: علم القراءات، الفقه، الحديث، التفسير، اللغة، الأدب، التاريخ، الجغرافيا، الرياضيات، الطب والفلسفة.

المبحث الأول: العلوم النقلية.

العلوم النقلية أو الشرعية: هي تلك العلوم التي ترجع الأصل فيها إلى الشرعيات من الكتاب، والسنة، والتي هي مشروعة لنا في الله ورسوله⁽¹⁾، حيث تشتمل على علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث والفقه، وعلم الكلام، واللغة والأدب⁽²⁾.

1) علم القراءات:

لغة: تعني جمع قراءة⁽³⁾، وهي مصدر سماعي لقرأ كما في اللسان، ويراد بها الفعل الذي يفعله القارئ، ويراد بها الأثر المترتب على الفعل، وهو الحروف والكلمات بمعانيها، وهو المقروء. وهما متلازمان، والمقروء هو القرآن إذا كان القارئ ينطق بكلام الله تعالى. المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فحينئذ تكون القراءة، والمقروء والقرآن شيئاً واحداً⁽⁴⁾.

(1) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 71.

(2) حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام: 4، ص: 416.

(3) قراءة: هي علم اهتم به المسلمون، وما زالوا يعظمون القرآن بوصفه كلمة الله ومن نافلة القول أن تكون قراءة القرآن بشكل صحيح أولى متطلبات العالم، والعايد على السواء، وكان أول علم ينشأ في هذا المجال هو (علم القراءة) أي قراءة القرآن وتلاوته، وتحمل كلمة (مُقرئ) صفة التكريم وقد وافق النبي صلى الله عليه وسلم على عدد من القراءات المختلفة، حسب لهجات أو لغات) بعض القبائل العربية. ينظر: إسماعيل راجي الفاروقي، الفاروقي لوس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية. تر: عبد الواحد لؤلؤ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، ط1، 1419هـ/ 1998م، ص: 348.

(4) الحسن عيسى، موسوعة الحضارات. تاريخ لغات أعلام، قيم حضارية، مدن، عادات وتقاليد، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2009م، ص: 562.

أما اصطلاحاً: فهو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وموضوعه القرآن من حيث أنه كيف يقرأ⁽¹⁾.

وعلم القراءات يعتبر المرحلة الأولى لتفسير القرآن الكريم، وأنّ الأساس الذي قام عليه هذا العلم هو في القرآن نفسه، وفي نصوصه نفسها، وبعبارة أخرى في قراءته⁽²⁾، ففي القرن 6هـ/12م تأخذ علوم القرآن لاسيما القراءات مكاناً متميزاً⁽³⁾ خصوصاً لدى الموحدين الذين رجعوا بالثقافة إلى أصولها، وشجعوا نشر القرآن، وقراءته بالمساجد⁽⁴⁾، وقد كان يوسف من أحسن الناس إلفاظاً بالقرآن، والاهتمام أكثر بعلم القراءات، والمحافظة على القرآن الكريم، فأنشأوا حزبا منه يقرأ يوميا بعد صلاة الصبح، والمغرب حسبما أمر بهذا يوسف في سائر البلاد التي تحت طاعته⁽⁵⁾.

فنشط دور المغرب الأوسط في مجال القراءات بشكل غير مسبوق، فأصبحت بجاية وتلمسان من بين أهم مراكز القراءات⁽⁶⁾ ومن أشهر العلماء ببلاد المغرب الأوسط واللذين ضاع صيتهم في هذا العلم نذكر: **أبو القاسم الغبريني الزواوي**، الذي تلقى القراءات عن جماعة من علماء بجاية ومصر، وأيضا **المقريء علي بن محمد بن يوسف اليابري الضريري** (ت 617هـ/1220م)، وقد كان أستاذاً لأبناء المنصور الموحد في القراءة والتجويد⁽⁷⁾، أما في القرن 7هـ ظهر ابن الخضر

(1) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 77.

(2) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص: 416.

(3) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م، الشرعيات والعقائد، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1421هـ/2000م، ج: 2، ص: 15.

(4) المرجع نفسه، ص: 09.

(5) المنوني محمد، حضارة الموحدين. ص ص: 34-35

(6) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م. ج: 2، ص: 09.

(7) النجار ليلي أحمد، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحد دراسة تاريخية وحضارية (580هـ-595هـ) (1184م-1198م). رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، القسم 2، ص: 475.

التلمساني⁽¹⁾، وكذلك أحمد المعافري ببجاية وقد وصفه الغبريني بأستاذ الأساتيد في وقته وأيضاً الحسن ابن عبد الله الراشدي التلمساني (ت 685هـ/1286م) نزيل مصر⁽²⁾، وكانت تدرس القراءات على طريقة التلقين واستعمال الألواح لرسمها وحفظها⁽³⁾.

2) علم التفسير⁽⁴⁾:

لغة: تدور مادته حول معنى مطلقاً سواء أكان هذا الكشف لغموض لفظ أم لغير ذلك، يقال فسرت اللفظ فسراً، من باب ضرب ونصر، وفسرته تفسيراً شدد للكثرة إذا كشف مغلقه⁽⁵⁾.

أما اصطلاحاً: هو علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها وأقاسيسها، والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكّنها ومدنّها، ومحكمها ومشابهاها، وناسخها ومنسوخها⁽⁶⁾.

وزاد الإقبال على دراسة القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع الأول في الدولة المرابطية والموحدية، ومن هنا أقبل عليه العلماء بالدراسة والبحث⁽⁷⁾، واتسع نطاق الاهتمام به أكثر خلال القرن (6هـ/12م)، ورغم ظهور تفاسير كثيرة قبل هذه المرحلة لكن القرن السادس هجري يمثل عصر ازدهار القراءات والحديث النبوي⁽⁸⁾.

(1) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 2، ص: 16.

(2) المرجع نفسه، ص: 9-10.

(3) المرجع نفسه، ص: 17.

(4) التفسير: التفسير نوعان: فأما الأول: التفسير بالمأثور: وهو ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة، وأما الثاني التفسير بالرأي: وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل، ينظر: النعيمات سلامة صالح وآخرون، الحضارة الإسلامية. الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، د.ط، 2008م، ص: 229.

(5) الحسن عيسى، المرجع السابق، ص: 217.

(6) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 72.

(7) حسن حسن علي، المرجع السابق، ص: 483.

(8) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 2، ص: 21.

فالموحدون نهجوا نهجا في علم التفسير يختلف عن منهج الذي سار عليه المرابطون، حيث أتم أولوا المتشابه من الآيات والأحاديث⁽¹⁾، ويظهر اهتمام الموحدين بذلك من خلال استدعائهم المفسرين من الأندلس ليتعاونوا مع المفسرين المغاربة⁽²⁾، ومن بين المفسرين الذين ظهروا بالمغرب الأوسط نجد أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوردجاني 50هـ-570هـ / 1106م-1174م الذي ألف تفسيرا للقرآن في سبعين جزء⁽³⁾.

3) علم الحديث:

الحديث هو ما صدر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من قول، أو فعل، أو تقدير أو صفة⁽⁴⁾ وهو مرادف للسنة كما أنه أصل من أصول التشريع الإسلامي⁽⁵⁾، وهو يحتل المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم⁽⁶⁾ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁽⁷⁾، وأيضا قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁽⁸⁾ وقد أخذته الناس عن الصحابة الذين طالت صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم: السيدة عائشة، وعمر بن الخطاب، وأبو هريرة رضي الله عنهم⁽⁹⁾، ومن علوم الحديث معرفة القوانين التي وضعها أئمة المحدثين لمعرفة الأسانيد والرواية وأسمائهم وكيفية أخذ بعضهم عن بعض، وأحوالهم وطبقاتهم واختلاف اصطلاحاتهم⁽¹⁰⁾.

(1) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 75.

(2) المنوبي محمد، حضارة الموحدين. ص: 33. ينظر: جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص: 280.

(3) الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 21.

(4) النعيمات سلامة صالح وآخرون، المرجع السابق، ص: 228.

(5) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 86.

(6) النعيمات سلامة صالح وآخرون، المرجع السابق، ص: 228.

(7) سورة النجم. الآية: 3-4.

(8) سورة الحشر. الآية: 07

(9) النعيمات سلامة صالح، المرجع السابق، ص: 228.

(10) ابن خلدون، المقدمة. ج: 2، ص: 184.

وكان ظهوره في القرن الثاني للهجرة⁽¹⁾، فشهد عناية من حيث التدريس والتأليف والرواية، ولا شك أن ذلك يعود إلى صلة هذا العلم بالدين والتصوف⁽²⁾ معاً، كما يعود إلى كون علم الحديث يعتمد إلى حد كبير على الحفظ، وكان العمل به يعتمد على الكتب الستة يدرسونها، ويسندونها ويحفظونها أحياناً، ولكن العناية بصحيح البخاري قد فاقت كل عناية وكان يدرس بالجوامع الكبيرة⁽³⁾.
وعلم الحديث شهد ازدهاراً كبيراً لم يكن من قبل، وقد استمد نهضته من اهتمام الخلفاء الموحدين به⁽⁴⁾، وظهر ذلك في استدعائهم المحدثين من الأندلس، وأمرهم بتدريسه إلى جانب المحدثين المغاربة⁽⁵⁾، وكذلك برجعهم إلى كتاب الله، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم⁽⁶⁾ وإحراق كتب الفروع وذلك سنة خمسين وخمسمائة 550هـ/1155م. وردّ الناس إلى قراءة الحديث، وكتب بذلك إلى جميع طلبة المغرب والعدوة⁽⁷⁾، وقد اهتم الموحدون في المغرب بموطأ المهدي محمد بن تومرت، باعتباره صورة مصغرة لموطأ الإمام مالك، واهتم الخليفة الموحيدي الثالث يعقوب المنصور 580هـ-595هـ/1184م-1199م بعلم الحديث اهتماماً خاصاً⁽⁸⁾، ويذكر في هذا الصدد عبد الواحد المراكشي بأنه كان أحسن الناس انفاضاً بالقرآن وأسرعهم نفوذاً، كما خاطر في غامض مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية، وكان شديد الملوكية، بعيد المهمة سخياً وجوداً، استغنى الناس

(1) حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس (232هـ-447هـ / 847م-1055م)، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1416هـ/1996م، ج:3، ص:351.

(2) التصوف: أو ارتداء الصوف، اسم يطلق على حركة سيطرة على عقول المساميين وقلوبهم مدة ألف سنة وما تزال قوية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، وقد عدت هذه الحركة أرواح المسلمين وطهرت قلوبهم وحققت تشوفهم للتقوى والفضيلة والصلاح والقرب من الله. ينظر: الفاروقي إسماعيل راجي ولوس لمياء الفاروقي، المرجع السابق، ص:425.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ج: 2، ص:25.

(4) طه جمال أحمد، المرجع السابق، ص:281.

(5) المنوني محمد، حضارة الموحدين. ص:35.

(6) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص:281.

(7) أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص:195. ينظر: السلاوي، الاستقصا. ج: 2، ص:112.

(8) حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، ج: 4، ص:424.

في أيامه حيث كثرت في أيديهم الأموال، هذا مع إيثار العلم الشديد، والتعطش المفرط إليه، صحّ عندي أنّه كان يحفظ احد الصحيحين⁽¹⁾.

أما أبي زرع الفاسي، فيذكر في كتابه روض القرطاس بأنّ يعقوب بن عبد المؤمن هو أمير المؤمنين عالماً بالحديث، والفقه واللغة مشاركاً في كثير من العلوم النافعة للدين، والدنيا، محباً في العلماء **معظماً** لهم صادراً عن رأيهم يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء ويزورهم ويتبرك بهم⁽²⁾، وكان يحفظ متون الأحاديث و يتقنها أمّا يوسف فكان يحفظ الصحيحين⁽³⁾، والدولة الموحدية فرضت على المواطنين دراسات إجبارية للحديث، وقد جعل لمن يحفظ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الجوائز السنّية⁽⁴⁾، وأمر المنصور الموحيدي جماعة من العلماء بجمع الأحاديث المتعلقة بالصلاة ونحوها، كما فعل ابن تومرت حينما جمع أحاديث الطهارة، وقام المنصور بإملائها بنفسه على الناس ورغبهم في حفظها⁽⁵⁾.

ومن اشتهر في علم الحديث في المغرب الأوسط نجد أبو عبد الملك مروان ابن علي الأسدي القطان البوني نسبة إلى بونة (عنابة) ، كان حافظاً وناقداً في الفقه، كتب شرحه المختصر للموطأ الإمام مالك⁽⁶⁾، وأحمد بن سلمه بن أحمد بن يوسف بن سلمه الأنصاري نشأ ببلنسية ثمّ نزل يتلمسان ويكنى بأبي العباس، وهو محدث حافظ كامل العناية بالحديث ومن أهل المعرفة به ضابطاً مثقناً، ودرس علم العربية في تلمسان وقام المنصور باستدعائه وقيل أنّه توفي في أواخر سنة (597هـ/1200م)، وكذلك أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي، ويكنى بأبي جعفر من أهل قرطبة، وسكن غرناطة ثمّ رحل إلى بجاية، وهو متحدث متمكن من الرواية⁽⁷⁾، وألف

(1) المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص: 170.

(2) أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 215.

(3) المنوني محمد، حضارة الموحدين. ص: 35.

(4) عبد العزيز عادل محمد، المرجع السابق، ص: 89.

(5) التّجار ليلي أحمد، المرجع السابق، ص: 477.

(6) الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 19-20.

(7) نجّار ليلي أحمد، المرجع السابق، ص: 477-478.

في أحكام النبي صلى الله عليه وسلم كتابا أسماه " أفاق الشمس وأعلاق النفوس " توفي سنة (582هـ/1186م)⁽¹⁾.

4) الفقه:

لغة: هو العلم بالشيء والفهم له... وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة أمّا اصطلاحاً: يسمى بعلم الدراية وهو معرفة مالها وما عليها⁽²⁾، أي يعني المعرفة من خلال الاستدلال⁽³⁾، فازدهر هذا العلم في عهد الموحدين، حيث كانت الأصول معتبرة عندهم في الفقه هي القرآن والسنة، والإجماع أمّا القياس فلا يأخذون إلاّ بالقياس الشرعي لذلك فقد ازدهرت على عهدهم دراسة أصول الفقه، وأصول الدين في المغرب إلى درجة أنّ بعض الأندلسيين كانوا يرحلون إلى المغرب لدراسة هذين العلمين⁽⁴⁾، ومن اللذين اشتهروا بهذا العلم بالمغرب الأوسط نجد أبو الوليد يزيد ابن أبي عبد الرحمان (ت580هـ/1184م)، كان فقيها وكذلك قاضيا بيسكرة⁽⁵⁾، وأبو محمد عبد السلام ابن علي بن عمر الزواوي ولد سنة 589هـ/1193م بمدينة بجاية، وبرع في الفقه وعلوم القرآن واشتهر بالزهد والإخلاص⁽⁶⁾.

5) علم الكلام:

يقصد به الأقوال التي كانت تصاغ على نمط منطقي، أو جدلي وعلى الأخص في العقائد، وأنّ المشتغلين بهذا العلم يسمون المتكلمون⁽⁷⁾، وهو علم يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرّد على مبتدعين منحرفين في الاعتقادات، وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو

(1) طه جمال أحمد، المرجع السابق، ص: 282.

(2) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 91.

(3) الفاروقي إسماعيل راجي، لويس الفاروقي، المرجع السابق، ص: 63.

(4) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 94.

(5) الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 72.

(6) المرجع نفسه، ص: 78.

(7) حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، ج: 3، ص: 358.

التوحيد⁽¹⁾، شاع استعمال تعبير علم الكلام وعلم التوحيد على حد سواء، وكان يعتبر هذا العلم من أهم العلوم، بل هو أهمها فقد عرف خلال القرن 6هـ/12م بأنه أوثق العلوم دليلاً، وأوضحها سبيلاً، وأنجحها مقاصد، وذلك خلال العصر الموحد⁽²⁾، لكنّه لم ينل عناية خلال حكم المرابطين، وكانوا يتهمون كلّ من يخوض في هذا العلم بالكفر⁽³⁾، والخروج عن الدين، وليست الخلافات المذهبية والفلسفية إلاّ نتيجة لمدارسة علم الكلام، والتعمق فيه والتمادي في الاستنباط، والبحث عن الأدلة⁽⁴⁾.

فالمغرب كان يسير وفق العقيدة السلفية، وظلّ أهل هذه البلاد على هذه العقيدة، حتى ظهر المهدي ابن تومرت صاحب الدعوة الموحدية إذ كانت دعوته توحيدية محض⁽⁵⁾ حيث كان يلزم الناس بدراسة علم الكلام إلزاماً⁽⁶⁾، وقد ألف ابن تومرت في هذا العلم عقيدة باللسان البربري هي المرشدة كما صنف في هذا العلم أيضاً كتاب سماه "أعز ما يطلب" وعقائد قي أصول الدين كان فيها على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر مسائل⁽⁷⁾، وكذلك ألف لأتباعه كتاب في التوحيد⁽⁸⁾، فأصبح لعلم الكلام منزلة في الدولة نتيجة اهتمام ولاة الأمر بذلك⁽⁹⁾.

(1) ابن خلدون، المقدمة. ج: 2، ص: 205.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ج: 2، ص: 92.

(3) حسن حسن علي، المرجع السابق، ص: 486.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ج: 2، ص: 92.

(5) حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج: 4، ص: 44.

(6) راجح جميلة، المرجع السابق، ص: 33.

(7) طه جمال أحمد، المرجع السابق، ص: 294.

(8) التوحيد: هو كتاب ألفه المهدي ابن تومرت لأتباعه سماه التوحيد باللغة البربرية وهو سبعة أجزاء عدد الأيام، وامره بقراءة جزء

واحد كلّ يوم بعد صلاة الصبح بعد الفراغ من قراءة جزء من القرآن. وهو يحتوي على معرفة الله تعالى وسائر العقائد كالعلم

بحقيقة القضاء والقدر والإيمان وما يجب على المسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: الفقي عصام الدين عبد

الرؤوف، المرجع السابق، ص: 265.

(9) حسن حسن علي، المرجع السابق، ص: 487.

فظهر في المغرب الأوسط شخصيات برزت في علم الكلام منها أبو الحسن عليا بن أبي القاسم محمد التميمي المغربي القسنطيني الذي كان من أشهر علماء الكلام على المذهب الأشعري (ت 519هـ/1125م)⁽¹⁾.

4 علم اللغة والأدب:

1 علم اللغة:

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الذي وصف لسانه بأنه عربي ميين⁽²⁾ وهي علم بيان الموضوعات وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالأعراب⁽³⁾، وبما أنّها لغة الوحي لقيت عناية كبيرة من قبل الباحثين وقد جاء ذلك بناء على ضغط الملايين الداخلين في الإسلام الذين أرادوا فهم التنزيل العزيز الذي آمنوا به رسالة الإلهية، وكان بعضهم يتكلم لغة قريبة من العربية⁽⁴⁾.

فقد شاعت هذه العلوم في عصر الموحدين فقد كان يوسف بن عبد المؤمن من أحفظ الناس للغة وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو⁽⁵⁾، وكذلك يعقوب كان من أحسن الناس انفاضا بالقرآن وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو وأحفظهم للغة العربية⁽⁶⁾ وكان عواهل الموحدين وأمرأؤهم على ثقافة جيّدة قد تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم العربية وغيرها، ومستواهم الأدبي كان جيّدا، فقد غرس المهدي بن تومرت بذور الثقافة والمعرفة في أصحابه، وعلى رأسهم عبد المؤمن الكومي⁽⁷⁾.

(1) الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 22.

(2) التليسي بشير رمضان، وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. ص: 270.

(3) ابن خلدون، المقدمة. ج: 2، ص: 370.

(4) الفاروقي إسماعيل راجي، لوس لمياء الفاروقي، المرجع السابق، ص: 335-336.

(5) المنوني محمد، حضارة الموحدين. ص: 44.

(6) المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص: 170.

(7) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 1، ص: 183.

ومن أبرز النحويين بالمغرب الأوسط في عهد الموحدين نجد عبد الكريم الفكون القسنطيني الذي درس على يد الشيخ التواتي علم النحو، وتأثر به كثيرا فقد ترك على نحو أربعة تأليف على الألف في النحو⁽¹⁾، ومن أشهر كتاب الدولة الموحدية بالمغرب الأوسط أبو القاسم عبد الرحمان القالمي البجائي الذي استكتبه عبد المؤمن بعد فتح بجاية⁽²⁾، وأبو الفضل بن طاهر من أهل مدينة بجاية وهو المعروف بمحشرة، وكان رحمه الله من أهلا العلم، و الفضل، وهو كاتب أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف، وكذلك لولده المنصور ثم لحفيده الناصر⁽³⁾.

2) الأدب:

لغة: أدب القوم: دعاهم إلى مآدبته والأدب: رياضة النفس بالتعليم والتهذيب، وقد ورد هذا المعنى في الحديث الشريف: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"، والأدب: الجميل من النظم والنثر كما في الوسيط. أما اصطلاحا: أطلق في بادئ الأمر على ما أثر عن العرب من فنون القول النثري والشعري وكل ما نتج عن القرائح⁽⁴⁾، وعلم الأدب لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم⁽⁵⁾.

قد شهد الأدب نهضة في عهد المرابطين حيث كان يغلب عليه الطابع الأندلسي بحكم الوحدة القوية التي أظلت المغرب والأندلس، إلا أنه في العهد الموحي حول مجرى السفينة الأدبية إلى أدباء المغرب فسيطروا عليه مضمونا وعبارة وختيالا والفضل الأول يعود إلى الخلفاء الموحدين الذين شجعوا هذه الحركة الأدبية⁽⁶⁾.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص: 158-159.

(2) الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 70.

(3) ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 206-207.

(4) الحسن عيسى، المرجع السابق، ص: 35.

(5) ابن خلدون، المقدمة. ج: 2، ص: 376.

(6) طه جمال أحمد، المرجع السابق، ص: 287.

ومن الأعلام الأدب العربي النبغاء بالمغرب الأوسط في عهد الموحدين محمد بن محرز لوهرواني ولد أوائل القرن السادس هجري كان بليغ القلم واللسان يمتاز بالبراعة، ألف رسائل هزلية مختلفة وابتدع في المنامات الأدبية توفي سنة (575هـ/1179م)⁽¹⁾ ، وأبو علي الحسن بن علي بن طريف التيهرتي كان عميد الأدب العربي بالمغرب⁽²⁾، وبرز العديد من الشعراء منهم أبا علي حسن بن علي بن عمر الفقون⁽³⁾ شاعر بني عبد المؤمن من قسنطينة، وامتدح الناصر بن المنصور بقصيدة بليغة لما نزل بقسنطينة سنة 601هـ / 1205م، وكان كثير الوفادة على السادة من ولاية بجاية، وله ديوان شعر كان موجودا بأيدي الناس⁽⁴⁾، كما نجد أيضا في عصر المنصور شعراء بارزين من الأسرة الموحدية نفسها مثل: أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الذي كان واليا على مدينة بجاية، وتنقل في ولايات بلنسية وسجلماصة دائما بأهل الأدب والشعر وضاع صيته بينهم، ومن إنتاجه اختصاره للأغاني، وديوان شعره مشهور في ذلك الوقت، وتمتع بالقدرة على النظم وحفظ الآداب كما عرف عن شعره فقد تنوعت أغراضه من مدح وثناء، وغزل ووصف⁽⁵⁾.

وصفوة القول أنّ الموحدين اهتموا بالعلوم النقلية، لأنّها قامت على أساس ديني دعوي. فشجعت علم القراءات، علم الحديث والفقه، وعلم التفسير والأدب، واللغة، علم الكلام. فظهرت العديد من التأليف وعلى رأسهم كتاب أعز ما يطلب، بالإضافة إلى بروز العديد من الأعلام في هذه العلوم.

(1) الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 23.

(2) المرجع نفسه، ص: 20.

(3) الفقون: بنو فقون من قرية فقونة بالأوراس. ينظر: مبارك بن محمد الميللي، تاريخ الجزائر القدم والحديث. ج: 2، ص: 337.

(4) الميللي مبارك بن محمد، المرجع السابق، ج: 2، ص: 337.

(5) حسن حسن إبراهيم، تاريخ الاسلام. ج: 4، ص: 499-500.

المبحث الثاني: العلوم العقلية.

العلوم العقلية: وهي العلوم التي في الذهن واللغات، إنما هي ترجمان في الضمائر من تلك المعاني يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم وممارسة البحث في العلوم⁽¹⁾، وتشمل التاريخ والجغرافيا، الفلك وعلم النجوم، الفلسفة، الطب والصيدلة، الرياضيات⁽²⁾.

1) علم التاريخ:

التاريخ لغة: هو التعريف بالوقت، يقال أرخ الكتاب، ورخه أي بيّن وقت كتابته.

وأما اصطلاحا: هو العلم الذي يتضمن زمن وقوع الحوادث وأساليبها، وحضارة ومظاهرها وعوامل تفرقتها، واضمحلالها... والمؤرخ هو كاتب التاريخ⁽³⁾، وكلمة التأريخ من حيث الاصطلاح تعني الزمن والحقبة⁽⁴⁾.

لقد نشطت عملية التأليف التاريخي في العهد الموحد بين أبناء المغرب، وظهر عدد كبير منه، وطبيعي أن تتأثر الكتابة التاريخية في المغرب بالكتابة الأندلسية للتاريخ نظرا لأستاذية مؤرخي الأندلس لأبناء العدو المغربية، وتداول كتبهم فيما بينهم فنجد في العصر الموحد⁽⁵⁾ عدد كبير من المؤلفات التي تهتم بفترات زمنية معينة منها: ألمن بالإمامة لابن صاحب الصلاة وهو أندلسي خدم الموحدين⁽⁶⁾، وكتاب الاكتفا بأخبار الخلفاء للمؤلف عبد الملك الكردي الذي تحدث فيه عن تأسيس الدولة الموحدية إلى زمن المنصور الذي عاصره المؤلف، وكتاب الأنساب في معرفة الأصحاب لمؤلف مجهول، أما من المؤلفات التي ظهرت بالمغرب الأوسط كتاب أخبار المهدي بن

(1) ابن خلدون، المقدمة. ج: 5، ص: 364.

(2) حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، ج: 4، ص: 416.

(3) التليسي بشير رمضان، وجمال هاشم ذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. ص: 277.

(4) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.ن، ص: 18.

(5) عبد العزيز محمد عادل، المرجع السابق، ص: 118.

(6) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم، ج: 2، ص: 254.

تومرت لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيدق، وكتاب فتوح المغرب للإباضي أبي يعقوب الوردغاني⁽¹⁾.

2) علم الجغرافيا:

لغة: كلمة يونانية الأصل بمعنى صورة الأرض⁽²⁾، أو وصف الأرض،

واصطلاحاً: علم يدرس الظواهر الطبيعية لسطح الأرض، كما يدرس الظواهر البشرية⁽³⁾، وهذا العلم يبحث في الأرض وطبيعتها وأقاليمها وبحارها وأنهارها، وأحوال ساكنيها حتى إنّ بعض المفكرين ذهب إلى أنّ علم التاريخ يبدأ حيث ينتهي علم الجغرافية، ولكنّ علم الجغرافية علم يقوم بدراسة البلاد، والأقطار من مختلف نواحيها، ويحاول أن يتفهم علاقاتها بعضها ببعض، ويشمل ذلك دراسة الإنسان، لأنّ الإنسان عامل في الأرض لا يمكن تجاهلها، فالتاريخ والجغرافية كلاهما في حاجة إلى آخر⁽⁴⁾، ويظهر الحثّ على علم الجغرافية من خلال قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَجِبَالَ أَوْتَادًا﴾⁽⁵⁾، وتحدث عن دوران عن دوران الكواكب⁽⁶⁾ من خلال قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁽⁷⁾.

وكان الاهتمام بالجغرافية بسبب الحياة في الرحلة والتنقل والتجارة، وعرفت الجغرافية الفلكية القائمة على الفلك، ومعرفة مواقيت الصلاة والصيام والحج⁽⁸⁾، وكذلك اتّسع رقعة العالم الإسلامي

(1) العبادي أحمد مختار، المرجع السابق، ص: 332.

(2) قرقوتي جنان، في الحضارة الإسلامية من العلوم عند المسلمين. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/ 2006م، ص: 30.

(3) السامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 255.

(4) قرقوتي جنان، المرجع السابق، ص: 30.

(5) سورة النبأ، آية 6-7.

(6) السامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 256.

(7) سورة الأنبياء، آية 33.

(8) التّجار فخري خليل، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1432هـ/ 2011م، ص: 200.

وطموح الأمراء في التعرف على المسالك والممالك في بلاد المغرب وخارجها، وكذلك حاجة الدولة إلى معرفة الطرق المختلفة التي تربط بلاد المغرب⁽¹⁾.

وشهدت الجغرافيا نهضة كبيرة لدى الموحدين حيث كان للخلفاء والأمراء ذوق جغرافي خاص ظهر في كثير من ملاحظاتهم ومجالسهم، وكذلك من خلال توافر السائحين والجغرافيين واكتشاف الجاهل⁽²⁾، فظهر العديد من الجغرافيين ومن أشهرهم الإدريسي وهو أبو عبد الله محمد بن محمد العلوي المعروف بالشريف الإدريسي توفي سنة 562هـ / 1162م⁽³⁾، عاصر حكم المرابطين، وكذلك حكم الموحدين، كان كثير التحوال عبر شمال إفريقيا والأندلس، فاكسب ثقافة واسعة شملت الفلسفة والأدب، وعلم النباتات والطب، فظلاً عن الجغرافيا⁽⁴⁾، فألف كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، وصنع للملك صقلية روجر الثاني كرة أرضية أي دائرة مفصلة عظيمة الحجم من الفضة الخالصة، ونقش عليها جميع الأقاليم المعروفة حينذاك، ودون عليها أسمائها باللغة العربية، وكانت تشمل كل العالم المعروف، ومنها رسم اثنان وثمانون خارطة، وتمتاز خرائط الإدريسي بتحديد درجات الطول والعرض⁽⁵⁾، إضافة إلى إعداده سبعين خريطة للمناطق الداخلة في تقسيمه للأقاليم السبعة⁽⁶⁾.

(1) التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، ص: 477.

(2) المنوني محمد، حضارة الموحدين. ص: 63.

(3) القيسي ناهض عبد الرزاق دفتر، ومضات من الحضارة العربية الإسلامية. دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1425هـ / 2005م، ص: 101.

(4) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 1، ص: 317.

(5) الفقي ناهض عبد الرزاق، المرجع السابق، ص: 101.

(6) أوعبية طه عبد المقصور عبد الحميد، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية نشأتها في المشرق - انتقالها إلى الأندلس دعم الأندلسيين لها- تأثيرها على أوروبا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ / 2004م، مج: 2، ص: 876.

3 علم الفلك:

لغة: هو المدار الذي يسبح فيه الجرم السماوي.

واصطلاحاً: يتناول دراسة المجرات البعيدة والمذنبات والشهب والنيازك، والنجوم والكواكب أو مجموعات النجوم، ويبحث فيه الفلكيون عن جوهر الكون مستخدمين أعينهم أو المنظار الثنائي أو التلسكوب أو سفن الفضاء⁽¹⁾، وقد عرفه الخوارزمي فقال: علم الهيئة هو علم معرفة تركيب الأفلاك وهيئتها وهيئة الأرض⁽²⁾، وأدرج ضمن علم الفلك علم التنجيم، وهو الاعتقاد بأنّ للنجوم وحركتها أثر على تصرفات الناس، ومقاديرهم فذهب العاملون في هذا الحقل إلى مراقبة النجوم، وحركاتها وكان لهم في هذا الميدان أبحاث ودراسات، علم أنّ هذا العلم يتنافى مع العقيدة الإسلامية، لأنّ الله سبحانه وتعالى وحده يعلم الغيب⁽³⁾ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ الْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾.

وكان حكام المغرب يهتمون بعلم النجوم في عهد الموحدين الذين كان مذهبهم يميل نحو الاعتزال والتشيع، مذهب الموحدين يتركز على القرآن، والسنة كما يقول الخليفة يعقوب المنصور (580هـ-595هـ / 1184م-1199م) في إحدى جلساته "وليس لنا إلاّ هذا" مشير إلى المصحف الشريف "أو هذا" مشيراً إلى كتاب آخر من أمهات كتب الحديث ومع هذا فقد كان لعلم النجوم أهمية خاصة في عهد الموحدين، إذ كانوا يعتمدون في أعمالهم على الجفر⁽⁵⁾، وفي طليعتهم المهدي محمد بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية حتى لقد قيل إنّه أقر عبد المؤمن على

(1) الحسن عيسى، المرجع السابق، ص: 488.

(2) السامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 247.

(3) قرقوتي جنان، المرجع السابق، ص: 132.

(4) سورة النحل. الآية: 77.

(5) الجفر: جمع جفور، والجفر من الأولاد الماعز ما بلغ أربعة أشهر، وكان القدماء يكتبون على جلود أولاد الماعز. ينظر: حسن

حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام. ج: 4، ص: 498.

الجيش بعد رأى ذلك في الجفر⁽¹⁾، فالخلفاء والأمراء كانوا يعتمدون على التنجيم في تنفيذ سياستهم⁽²⁾.

4) الفلسفة

هي اسم يوناني (صوفيا) بمعنى الحكمة، ويتركب منها ومن كلمة فيلوس محب، وجمعها فيلو صوفيا أي محب للحكمة وتعني بالعربية الفلسفة⁽³⁾، فهي إذن محبة أو طلب الحكمة⁽⁴⁾، وتطورت الدراسات الفلسفية في عهد الموحدين، فبينما كان يرفض المرابطون علوم الفلسفة نجد أنّ الموحدين جددوا علم الكلام عن طريق إدخال المذهب الأشعري ومذهب الغزالي⁽⁵⁾، فكان يوسف بن عبد المؤمن يمتاز بقراءة العلم بين أفاضل العلم، وكان ميله إلى الحكمة، والفلسفة أكثر من ميله إلى الأدب⁽⁶⁾، حيث كان يجمع كتب الفلاسفة⁽⁷⁾، والعلماء من أقطار الأندلس والمغرب⁽⁸⁾.

فالمغرب بلغ في الفلسفة شأوا لم يبلغه من قبل⁽⁹⁾، خاصة في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذي احتضن الفلاسفة منهم: ابن طفيل، وابن رشد⁽¹⁰⁾، فقربه إليه وعظمه فكان مكينا عنده، وعند ولده الناصر ثمّ نغم عليه ونال ابن رشد على يديه محنة شديدة، فقد أبعده الخليفة من

(1) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ج: 4، ص: 497-499.

(2) حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام. ج: 3، ص: 401.

(3) التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، ص: 458-459.

(4) حسينية مصطفى، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ب. ط، 1433هـ-2002م، ص: 468.

(5) الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص: 277-278.

(6) السلاوي، الاستقصا. ج: 2، ص: 140.

(7) المنوني محمد، حضارة الموحدين. ص: 69.

(8) طه عبد الواحد ذنون، المرجع السابق، ص: 226.

(9) موسى عز الدين عمر، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماته ونظمه. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،

1411هـ/ 1991م، ص: 55.

(10) ابن رشد: هو محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي أبو الوليد الحفيد (520هـ-595هـ/1126م/1198م) المعروف بابن

رشد عالم مسلم ولد بقرطبة فهو فقيه مالكي، وهو قاضي. ينظر: حسينية مصطفى، المرجع السابق، ص: 06.

حضرتة، ونفاه وأحرق جميع كتبه في الفلسفة، ثم عفا عنه سنة 595هـ، واستدعاه إلى حضرته بمراكش وتوفي في نفس السنة⁽¹⁾.

بلغت مؤلفات ابن رشد ما يقارب 78 كتاب في الفقه والفلسفة، والطب منها " شروح مؤلفات أرسطو"، وكتاب "تهافت التهافت" تناولت فلسفته عدّة مسائل تدرج من أصل الكائنات إلى اتصال الكون بالخالق وعلاقة الإنسان به⁽²⁾، أمّا بالمغرب الأوسط فظهر أبو حامد الصغير المسيلي 580هـ/1185م حيث شبه بغزالي المشرق لاجتهاداته المتنوعة في الفلسفة، والحكمة والفقه⁽³⁾، وهو من مدينة مسيلة ولي قضاء بجاية ألف كتاب التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات⁽⁴⁾.

5) الطب والصيدلة:

الطب هو صناعة تحفظ الصحة في بدن الإنسان، وهي كائنة ونستردها، وهي مفقودة وبواسطتها يزدان البدن بطول الشعر، وشفاء البشرة وطيب الرائحة والنشاط⁽⁵⁾. كما يقوم هذا العلم على قوانين تجريبية تتفحصها الخبرة اليومية⁽⁶⁾، أمّا الصيدلة هي علم الأدوية أو علم باحث عن التمييز بين النباتات المشتبهة في الشكل ومعرفة منابتها بأنها صينية أو هندية، ومعرفة زمانها بأثما صيفية أو خريفية، ومعرفة جيدها من ردها، ومعرفة خواصها⁽⁷⁾.

(1) السيّد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د. ط، 1972هـ، ج: 2، ص: 218.

(2) السيّد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة. ص: 219-220.

(3) بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر. ص: 163.

(4) الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 25-26.

(5) حسن حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص: 485.

(6) الفاروقي إسماعيل راجي، لوس لمياء الفاروقي، المرجع السابق، ص: 465.

(7) السامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 210.

وانفصلت الصيدلة عن الطب تحت رعاية الإسلام، وبلغت منزلة مستقلة بوصفها علما ومهنة⁽¹⁾، وعرف العرب التداوي والطب عن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو ما يعرف بالطب النبوي⁽²⁾ فحظي بعناية كبيرة على غرار العلوم الأخرى ماعدا الفلك وذلك حسب قول النبي عليه الصلاة والسلام: " العلم علما علم الأديان، وعلم الأبدان"⁽³⁾ ، وبدأ الاهتمام بالعلوم الطبية في بلاد المغرب في العصر الإسلامي منذ أوائل القرن 2هـ، وأول طبيب يظهر في بلاد المغرب هو الطبيب السرياني يوحنا بن ماسويه المسيحي، وكان يطلق على الطبيب اسم فقيه البدن (يعني طبيا)⁽⁴⁾.

وظهر الاهتمام أكثر بالطب في عهد الموحدين حيث قاموا بإنشاء بيمارستانات⁽⁵⁾ للمرضى⁽⁶⁾، وظهر العديد من الأطباء الذين قاموا بخدمة الخلفاء الموحدين مثل⁽⁷⁾: أبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر⁽⁸⁾ الذي لحق بأبيه في صناعة الطب، وألف الترياق السبعيني،

(1) الفاروقي إسماعيل راجي، لوس لمياء الفاروقي، المرجع السابق، ص: 470.

(2) التّجار فخري خليل، المرجع السابق، ص: 197.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ج: 2، ص. ص: 413-417.

(4) التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب. ص: 489.

(5) البيمارستان: كلمة فارسية مركبة من بيما: بمعنى مريض وستان: بمعنى مكان أو محل ويقال كلمة مستشفى وترد مختصرة (مارستان). ينظر: زنائي أنور محمود، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية. دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1434هـ/2013م، ص: 73.

(6) شوقي عطا الله الحمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا/ تونس/ الجزائر/ المغرب)، مكتبة الإنجاز المصرية، القاهرة، ط1، 1977م، ص: 24.

(7) المنوني محمد، المرجع السابق، ص: 89.

(8) أبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر: (487هـ-557هـ / 1091م-1161م) ولد باشبيلية، ودرس بها الأدب والفقه، وعلوم الشريعة دراسة وافية، ثم أخذ الطب عن والده، خدم الدولة المرابطية والموحدية. ينظر: سامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 199.

وكذلك كتاب التيسير في مداواة والتدبير⁽¹⁾، وكذا الحفيد أبو بكر بن زهر (504هـ-595هـ/1110م/1198م)⁽²⁾.

خدم دولة الموحدين وهم بنو عبد المؤمن فكان في خدمة عبد المؤمن هو وأبوه في أيام عبد المؤمن مات أبوه، فبقي هو في خدمته، ثمّ خدم ابن عبد المؤمن أبي يعقوب يوسف ثمّ لابنه يعقوب أبي يوسف الذي لقب بالمنصور ثمّ خدم ابنه أبا عبد الله محمد الناصر، وألف أبو بكر بن زهر الترياق الخمسيني للمنصور أبي يوسف يعقوب⁽³⁾.

أمّا في المغرب الأوسط ظهر طبيب أبو عبد الله محمد بن سحنون الندرومي الكومي الجزائري ولد بقرطبة 580هـ/1184م، فنشأ بها ثمّ انتقل إلى اشبيلية واشتغل بصناعة الطب، وهو من جملة المتميزين أيضا في علم الأدب والعربية والحديث⁽⁴⁾، خدم الناصر في آخر دولته، ثمّ المستنصر⁽⁵⁾. وكذلك كان في عهد المنصور أبو إسحاق الداني من بجاية الذي تولى رئاسة اليمارستان، وكانت له عناية كبيرة بالطب، واستمرت رئاسة الداني لليمارستان حتى وفاته في مراكش خلال عهد المستنصر بن الناصر⁽⁶⁾.

أمّا في مجال الصيدلة فقد ظهر خلال القرن 6هـ/12م ابن البيطار الذي سافر إلى أنحاء المعمورة من أجل الحصول على نباتات جديدة⁽⁷⁾.

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، د.د.ن، د.ط، د.ت.ن، ص: 467.

(2) بن زهر (504هـ-595هـ / 1110م-1198م): ولد باشبيلية ونشأ بها كان متميزا في العلوم لم يكن في زمانه أعلم منه

بمعرفة اللغة. ينظر: السامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 200.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص: 469.

(4) السامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 200.

(5) المنوني محمد، حضارة الموحدين. ص: 21.

(6) بخّار ليلي أحمد، المرجع السابق، ص: 518.

(7) قرقوتي جنان، المرجع السابق، ص: 185.

(6) علم الرياضيات:

عرف العرب العلم الرياضي بأنه (علم غرضه إدراك المقادير)⁽¹⁾ ، وأطلقوا على الحساب⁽²⁾ والجبر⁽³⁾ والمقابلة والمثلثات، والهندسة⁽⁴⁾، والرياضيات الإسلامي هي امتداد للرياضيات الهندية⁽⁵⁾، ومن الشخصيات الأندلسية التي يدين لها المغرب بنشر هذه العلوم بين أبناءها على عهد الموحدين أحمد بن إبراهيم بن علي بن منعم العبدري الذي سكن العاصمة الموحدية، وتصدى لتدريس العلوم، أما بالنسبة للشخصيات العلمية المغربية التي أسهمت في هذا العلم بدور كبير عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين الذي أكمل دراسته بمدينة اشبيلية، وصار من أعلام في علوم كثيرة كعلم الأدب والرياضيات، وترك أرجوزتين إحداهما في علم الجبر و المقابلة خلدت اسمه⁽⁶⁾.

نستنتج مما سبق أن العلوم العقلية شهدت اهتماما كبيرا من قبل الموحدين بالمغرب الأوسط من طرف جميع خلفائها، فشجعوا الفلسفة بعدما كانت مرفوضة في عهد المرابطين وكذلك الطب والرياضيات والصيدلة، والفلك وعلم النجوم.

(1) النعيمات سلامة صالح وآخرون، المرجع السابق، ص: 238.

(2) الحساب: يعدّ الحساب أقدم وأبسط فروع علم الرياضيات وهو يحوي دراسة الأعداد، والطرق الحسابية، وحل المشكلات، والمسائل باستخدام الأعداد. ينظر: الحسن عيسى، المرجع السابق، ص: 277.

(3) الجبر: عرف العرب الجبر بقولهم أنه علم بالأصول نتعرف عن طريقها مقادير مجهولة مسماه بأسماء خاصة ويتوصل به إلى استخراج كمية المطلوب من المفروض بينهما صلة. ينظر: النعيمات سلامة صالح، المرجع السابق، ص: 239.

(4) الهندسة: كلمة فارسية وهو علم النظر في المقادير المتصلة كالخط أو السطح أو الجسم، أو المنفصلة كالأعداد. ينظر: السامعي إسماعيل، المرجع السابق، ص: 191.

(5) التجار فخري خليل، المرجع السابق، ص: 191.

(6) عبد العزيز محمد عادل ، المرجع السابق، ص ص: 143-144.

المبحث الثالث: العلماء:

شهدت حواضر المغرب الأوسط خلال القرن السادس الهجري (12م) بروز العديد من العلماء الذين ضاع صيتهم في مختلف العلوم النقلية والعقلية، حيث كانت لهم إسهامات في تطويرها ومن بينهم:

(1) يعقوب بن حمود (توفي: 511هـ/1117م):

هو الفقيه الحافظ يعقوب بن حمود الأغماتي ويكنى أبا يوسف، أصله من تلمسان لقي بمرسية أبا علي الصديقي، وسمع منه جامع الترميذي بجامعها سنة 511هـ/ 1117م أثناء رحلته إلى الأندلس، ثم عاد إلى تلمسان وأصبح فقيها حافظا واستقر بها ويدرس بجامعها العتيق عام 523هـ/1129م⁽¹⁾.

(2) علي بن أبي القاسم القسنطيني (توفي: 519هـ/1125م):

هو أبو الحسن علي بن أبي القاسم محمد التميمي المغربي القسنطيني، من أشهر علماء الكلام رحل إلى المشرق، ونزل بدمشق أخذ العلم عن أبي عبد الله محمد بن عتيق القيرواني في العراق، وسمع صحيح البخاري عن نصر بن إبراهيم المقدسي وغيره من العلماء. من مؤلفاته: كتاب تنزيه الإله وكشف فضائح مشبهة الحشوية، وتوفي بدمشق في 18 رمضان (519هـ/ 18 أكتوبر 1125م)⁽²⁾.

(3) يوسف الورجلاني (500-570هـ/1106-1174م):

هو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، ولد بمدينة وارجلان سنة 500هـ/1106م، عكف منذ صغره الدراسة والتحصيل العلم في بلده، وبعدها رحل إلى قرطبة وتفرغ لدراسة مختلف

(1) ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلسي، التكملة لكتاب الصلاة. تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1415هـ/1995م، ج: 4، ص: 232.

(2) الجليلي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 22.

فنون اللغة، والأدب ونبغ فيها حتى لقب "بالجاحظ" ثم عاد إلى وطنه وارجلان، ثم رحل إلى المشرق وتجول في معظم حواضره العلمية للدراسة والتحصيل، والاطلاع لازم داره سبعة أعوام في وارجلان⁽¹⁾، جمع بين الحديث والفقه والعقائد والأصول، كتب في كل هذه العلوم⁽²⁾، وبعد واحدا من كبار شيوخ الإباضية.

مؤلفاته: تفسير القرآن في سبعين جزء (يوجد جزء منه في روما)⁽³⁾، كتاب الدليل والبرهان لأهل العقول⁽⁴⁾: تحدث فيه عن الحكمة والفلسفة الإلهيات والأصول وعلم الكلام والمنطق والهندسة، والتفسير ومناقشة المذاهب وغيرها، كتاب فتوح المغرب في التاريخ، كتاب مروج الذهب في الفلسفة والحكمة ترجمة إلى عدة لغات أوروبية، كتاب ترتيب مسند الربيع بن حبيب والقصيدة الحجازية التي وضعها في 350 بيتا سجل فيها أحداث رحلته إلى المشرق⁽⁵⁾.

4) محمد بن محرز الوهراني (توفي: 575هـ/1179م):

هو ركن الدين محمد بن محرز الوهراني، ولد أوائل القرن السادس الهجري (12م) بوهران، كان من أعلام الأدب العربي، ووصف بأنه بليغ القلم واللسان يمتاز بالبراعة رحل إلى المشرق، وزار صقلية وبغداد، ومصر ودمشق من أجل طلب العلم. ألف رسائل هزلية، وأيضا كتابا في التاريخ، ويظهر ذلك من خلال العبارة التي قالها في مقامته البغدادية ردا على سؤال وجه إليه: "كيف معرفتك

⁽¹⁾ بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1999م، ج: 1، ص: 127.

⁽²⁾ حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م الشرعيات والعقائد. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1421هـ-2000م، ج: 2، ص: 330.

⁽³⁾ بوعزيز يحي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 127.

⁽⁴⁾ حركات إبراهيم، المرجع السابق، ج: 2، ص: 392.

⁽⁵⁾ بوعزيز يحي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 128.

بدهرك ومن تركته وراء ظهره؟، فقال: " أما البلاد فقد درستها وحسبتها وأما الملوك فقد لقيت كبارها وحفظت كبارها، وقد كتبت في ذلك مجلدا، وتركت ذكرهم فيه مجلدا"⁽¹⁾.

5) أبو الحسن علي ابن أبي القاسم عبد الرحمان (توفي: 577هـ/1181م)

هو أبو الحسن علي ابن أبي القاسم عبد الرحمان المعروف بابن أبي القنون التلمساني، كان فقيها، مالكيا روى عن أبي علي الصديقي، وابن أبي تليد، وأبي عبد الله الخولاني وغيرهم. تولى القضاء بمراكش وتلمسان قاعدتي الموحدين، وهذا يدل على تفوقه في أصول الفقه وفروعه، فألف كتاب المقتضب الأشفي من أصول المستصفي توفي سنة (577هـ/1181م).⁽²⁾

6) أبو حامد الصغير (توفي: 580هـ/1184م):

هو أبو علي الحسن بن علي بن محمد المسيلي، فقد ذكر الغبريني أنه داوم على دراسة العلم، فاحتاج إليه الناس في أمور دينهم فمالوا إليه، وعولوا عليه وكان وليا بالبلد بعض سادات عبد المؤمن، وعند نزوله بجاية أدرك تسعون مفتيا ما منهم من يعرف الحسن بن علي المسيلي من يكون كان يقول هذا حين يشار إليه بالتفرد بالعلم والتوحد في الفهم⁽³⁾. كان يكنى بأبي الحامد الصغير مقارنة له بالإمام أبي حامد الغزالي لتأليفه كتاب التفكير، تولى قضاء بجاية⁽⁴⁾، كان يقضي ليله بالجامع الأعظم متعبدا فيخصص ثلثه الأخير للتهجد، وأقام بالجامع مجلسا للتدريس تخرج منه طلبة كثيرون⁽⁵⁾. وكانت وفاته بجاية سنة (580هـ/1184م). من مؤلفاته: كتاب التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات، وكتاب التذكرة في علم أصول الدين.

(1) الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص. 23-24.

(2) الطمار محمد، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2007م، ص: 78.

(3) الغبريني، المصدر السابق، ص. 33-36.

(4) الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 25.

(5) بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين نشأته تياراته دورة الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د.ط، 2004م، ص: 118.

7) أبو محمد بن عبد الحق الاشيلي (توفي : 581هـ/1185م):

هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله بن الحسين بن سعيد بن إبراهيم الأسدي الاشيلي، ولد سنة 510هـ/1116م، ذكر الغبريني أنه رحل إلى بجاية وخيرها وطنا وأكمل بها خبرته⁽¹⁾، فأقام بها واحد وثلاثين سنة خطيبا وإماما وتولى التدريس بجامعة الأعظم⁽²⁾، وجلس للوثيقة والشهادة، ثم تولى قضاءها في مدة ابن غانية المعروف بالميورقي اللمتوني. اشتهر بزهده فقسم ليله ثلثا للقراءة، وثلثا للعبادة، وثلثا للنوم وكان يرفض الخرافات، فقال:

لَا يَخْدَعُنَا عَنْ دِينِ الْهَوَى نَفْرُ
لَمْ يُرْزَقْ فِي التَّمَّاسِ الْحَقِّ تَأْيِيدًا.
عُمَى الْقُلُوبِ عُرُوا عَنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ
لَكِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ تَقْلِيدًا.

وقال أيضا:

دَعِ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَجَافِ
وَحْذِ مِنْهَا كَفَافٍ مِنْ خِلَالِ
بِنَفْسِكَ عَنْ مُزَاوَمَةِ الْقَوَافِي.
فَإِنَّكَ لَا تُلَاقُ عَنْ كَفَافٍ.

درس على يده العديد من التلاميذ كأبي مروان بن عمار بن يحيى البجائي توفي سنة (610هـ/1213م)، وأبو يوسف بن محمد البلوي المالقي توفي أواخر (ق 6هـ/12م)، وهو من أهل مالقة دخل بجاية سنة 560هـ/1164م، عند ذهابه إلى الحج التقى بعبد الحق الاشيلي أثناء إقامته بها فأخذ عنه العلم⁽³⁾.

8) ميمون بن جبارة (توفي: 584هـ/1188م)

هو ميمون بن جبارة بن خلفيون الفرداوي، المكنى أبا تميم من فقهاء المغرب الأوسط المشهورين، فكان من كبار العلماء معدودا في الرؤساء، كريم الأخلاق وافر الجاه، عظيم الحرمة له

(1) الغبريني، المصدر السابق، ص: 41.

(2) بونابي الطاهر، المرجع السابق، ص: 301.

(3) المرجع نفسه، ص: 104.

آثار حميدة⁽¹⁾. رحل إلى المشرق فتلقى العلم على العديد من الشيوخ أمثال: محمد بن إبراهيم المهدي وأبو الطاهر السلفي، وبعد رجوعه اتصل بالخليفة الموحد يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1198م) بمراكش⁽²⁾.

دخل الأندلس وتولى قضاء بلنسية سنة 578هـ/1182م، ثم صرف عن ذلك منقولا إلى القضاء بجاية، واشتهر بعلم الأصول في كل من بلنسية وتلمسان حيث انتفع أهلها منه، ثم استقدم من بجاية إلى مراكش ليتولى قضاء مرسية بعد وفاة أبيه بن قاسم بن جيش، فتوفي في طريقه إليها بتلمسان سنة 584هـ/1188م، وممن أخذ عنهم القاضي أبو عبد الله ابن عبد الحق وغيرهم⁽³⁾.

9) أبو مدين شعيب (توفي: 594هـ / 1197م):

الشيخ العارف المحقق الواحد، القطب أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي الأصل من أحواز اشبيلية، كان زاهدا في الدنيا عارفا بالله تعالى⁽⁴⁾، ولد سنة 510هـ/1116م. وهناك من يقول أنه ولد سنة 509هـ/1115م⁽⁵⁾. ذكر ابن مریم أن شيخه أبا يعزى⁽⁶⁾ كان يثني عليه كثيرا ويخصه بين أصحابه بالتعظيم⁽⁷⁾، ودرس على يد أبي عبد الله الدقاق من أكابر الصوفية،

(1) ابن الآبار، المصدر السابق، ص: 197.

(2) حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم. ج: 2، ص: 330.

(3) ابن الآبار، المصدر السابق، ص: 197.

(4) ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد الخطيب، أنس الفقير وعز الحقيير. المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، د.ط، د. ت.ن، ص: 11.

(5) علاوي محمد الطاهر، العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني. دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط2011م، ص: 16.

(6) أبو يعزى: هو عبد الله أبو يعزى، من أشهر من وقع الإجماع على مكاتبتهم في التصوف بالمغرب. ينظر: ابن الزيات أبي يعقوب يوسف ابن يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي. تح: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط2، 1997م، ص: 213.

(7) ابن مریم التلمساني، المصدر السابق، ص: 108.

فقال: "أنا أول من أخذ عنه الشيخ أبو مدين شعيب علم التصوف وكان الدقاق إماما في ذلك"⁽¹⁾، بالإضافة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني⁽²⁾.

كما درس بالأندلس وطنجة ومراكش وفاس، وعند رجوعه من رحلته استوطن بجاية⁽³⁾ في عهد الخليفة الموحد يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1198م)، واستقر فيها مدرسا ومربيا وناشرا للتصوف السني القائم على المجاهدة السنية⁽⁴⁾، فاشتهر أمره بها من خلال تعاليمه الصوفية التي نشرها بها والتي كانت مخالفة لمذاهب فقهاء الموحدين، فقلت هؤلاء من شهرته التي أخذت تضيع يوما بعد يوم، ومن مر يديه الذين تزايد عددهم فوشي به، وقال: "إنه يخاف منه على دولتكم، فإن له شبها بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون في كل بلد"⁽⁵⁾.

فأمره خلفاء بني عبد المؤمن باطلاعه إلى مراكش وكتبوا لوالي بجاية بذلك، فأمروا أن يحمله خير محمل، فلما وصل إليه الأمر اجتمع عليه أكابر أصحابه، وعزّ عليهم فراقه وتألّموا من حاله وأنفوا عليه، فقال: "شعيب شيخ كبير ضعيف لا قدرة له على المشي منيته قدرت بغير هذه البلدة، ولا بد من الوصول إلى محل منيته"⁽⁶⁾.

وفي حدود سنة (590هـ/1193م) توفي بتلمسان بالموضع المعروف بالعباد ودفن هناك⁽⁷⁾، وحضر جنازته عدد كبير من التلمسانيين، وأضحوا يدفنون موتاهم بالقرب من قبره⁽⁸⁾، ومن كلامه: "من اشتغل بطلب الدنيا ابتلى فيها بالذل، ومن لم يجد من قلبه زاجرا فهو خراب"، وكذلك

(1) محمود عبد الحليم، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله. دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1985م، ص: 46.

(2) المليي مبارك بن محمد، المرجع السابق، ج: 2، ص: 247.

(3) الطمار محمد، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر. ص: 74.

(4) بونابي الطاهر، المرجع السابق، ص: 121.

(5) علاوي محمد الطاهر، المرجع السابق، ص: 25-26.

(6) الغبريني، المصدر السابق، ص: 28.

(7) الزركشي، المصدر السابق، ص: 11.

(8) بونابي الطاهر، المرجع السابق، ص: 175-174.

قوله: "بفساد العامة تظهر ولاة الجور، وبفساد الخاصة تظهر دجاجلة الدين الفتانون"⁽¹⁾ وكذلك تنسب إليه بعض الأبيات الشعرية:

بَكَتِ السَّحَابُ فَأَضْحَكَتِ لِبُكَاءِهَا زَهَرَ الرِّيَاضِ وَقَاضَتْ الأَنْهَارُ.
وَقَدْ أَقْبَلَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِحُلَّةِ خَضْرًا وَفِي أَسْرَارِهَا أَسْوَارُ.
وَأَتَى الرِّيعُ بِحَيْلِهِ وَجُنْدِهِ فَتَمَتَّعَتْ فِي حُسْنِهِ الأَبْصَارُ⁽²⁾.

10) محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الاشيلي (توفي: 600هـ/1203م):

تحدث ابن مريم عنه فقال: "هو فقيه محقق اخذ العلم عن أبي الحسن، وأبي العباس بن حرب المسيلي، وأبا بكر العربي كان مجردا للقرآن ضابطا محدثا ناقدا عن الرواية، نزل تلمسان وعمر بها حتى توفي في رجب من سنة (600هـ/1203م)"⁽³⁾.

11) أبو عبد الله محمد الوهراني (توفي: 601هـ/1204م):

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني الوهراني، نشأ بتلمسان واشتهر بها بفضلته وعلمه، تولى قضاءها ثم قضاء مراكش سنة 584هـ/1188م، ثم تولى قضاء اشبيلية إلى سنة 592هـ/1195م، كان حميد السيرة، ضابطا للأحكام متضلعا فيها، سريع الفصل في النوازل. كانت وفاته ليلة الأحد 9 جمادى الأولى 601هـ/2 جانفي 1204م⁽⁴⁾.

(1) ابن الأحرر أبي الوليد إسماعيل، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن هو كتاب نثير الجمان في شعر من الضمن وإياه الزمان. تح: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ/1987م، ص: 258.

(2) الطمار محمد، المرجع السابق، ص: 75.

(3) ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص: 227.

(4) الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 74.

12) ابن الياسمين (توفي: 601هـ/1204م)

هو عبد الله بن محمد بن حجاج أبو محمد المعروف بابن الياسمين عالم بالحساب من الكتاب، كان من رجال السلطان بالمغرب بربري الأصل، من أهل مراكش توفي بها ذبيحا في منزله له أرجوزة في الجبر والمقابلة⁽¹⁾.

13) أبو زكرياء يحيى بن أبي علي المشهور بالزواوي: ت 611هـ/1214م.

ذكره الغبريني في عنوان الدراية بأنه شيخ فقيه صالح عابد، زاهد استوطن بجاية رحمه الله بعد رجوعه من المشرق وجلس بها لنشر العلم، وما من ناحية من النواحي إلا وله فيها مسجد ومعلم وكلها معروف البركة وكرامته رضي الله عنه أكثر من أن تحصى كان يجلس لعلوم الحديث، وعلوم الفقه وعلوم التذكير، وكانت له زاوية تعرف باسمه⁽²⁾.

تحمل على عاتقه مسؤولية إعالة المعوزين عندما أصيب أهل بجاية بمجاعة، ولم يتحرك ولي الموحدين لمساعدتهم فقام بجمع المعونات من أغنياء المدينة وصرفها عليهم⁽³⁾. وكانت وفاته سنة (611هـ/1214م)، فتدخل والي الموحدين للأشراف على مراسم دفنه وحضرها عدد كبير من الناس⁽⁴⁾.

14) محمد بن إبراهيم الأصولي: (توفي: 612هـ/1215م).

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري ويعرف بالأصولي⁽⁵⁾ محدث، فقيه أصولي، ومتكلم، من أهل بجاية رحل إلى المشرق ولقي جلة من أهل العلم الحديث، وسمع يسيرا بمصر وانصرف⁽⁶⁾.

(1) الزركلي، المرجع السابق، ج: 4، ص: 124.

(2) الغبريني، المصدر السابق، ص: 126-127.

(3) بونابي الطاهر، المرجع السابق، ص: 188.

(4) المرجع نفسه، ص: 176.

(5) الأصولي: اشتهر محمد بن إبراهيم الفهري بالأصولي لأنه برز في علم الكلام وأصول الفقه. ينظر: الغبريني، المصدر السابق. ص: 208.

(6) كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصفى الكتب العربية. مؤسسة الرسالة، د. ط، د. ت. ن، ج: 3، ص: 41.

ولي قضاء العديد من المدن منها جزيرة الأندلس، وكذلك مراكش وولي قضاء بجاية ثلاث مرات كما صرف عن آخرها سنة ثمانى وستمائة⁽¹⁾.

خرج منها متوجها نحو المشرق، ودخل مصر فطاف بمعلمها واتصل بأكابر علمائها، ودخل الأندلس مرارا وتولى قضاء مرسية وكان بينه وبين القاضي ابن رشد إخاء وصفاء⁽²⁾، كما اعتنى بإصلاح المستصفي لأبي حامد الغزالي، وإزالة ما كان فيه من تصحيف وله عليه تقييد وامتنحن بقرطبة 593هـ / 1197م⁽³⁾.

وصفه الغبريني بأنه "كان جلدا صلبا قويا الجأش، له فضل وجلال وتقدم علمي رقي فيه إلى غاية الكمال"، كان إذا حضر مجلس أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي ثالث ملوك دولة الموحدين 558هـ / 1163م يميل أكثر إلى الحكمة والفلسفة، وكان يسامح الحاضرون من الطلبة في المذاكرة عندما تقع بين يديهم، وكان هو لا يسامحه في شيء، وكان أمير المؤمنين يجد منه في مجلسه ويرفع له مع ذلك فضلا، ولا ينقصه شيء من حقه⁽⁴⁾.

كان له علم بالفقه والأصليين، والخلفيات والجدل، وله في المعقول الحكمي نظر، وكان مؤثرا لأهل الطلب قابلا على أهل الأدب، كما تميز بتشدده مع ولاة الأمر الذين كانوا معه في بلد قضاءه لا يسامحهم في شيء من أمورهم، ويجاهدتهم بما يكرهون في حق الله وفي حقوق المسلمين في يوم من الأيام جرت بينه وبين والي بجاية كلام كانت فيه غلظة قال له الوالي: "والله لقد أصاب سيدنا أمير المؤمنين المنصور فيكم"، فقال له: "إذا كان أصاب أمير المؤمنين المنصور فقد أخطأ فينا أمير المؤمنين الناصر" ومحمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الناصر لدين الله 595هـ / 1198م. فأفحمه، ورجع فاسترضاه وكان أمير المؤمنين المنصور كتب في شأنه وشأن أبي الوليد بن رشد إلى البلاد، وكان

(1) الغبريني، المصدر السابق، ص: 208.

(2) الجليلي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 73.

(3) كحالة عمر رضا، المرجع السابق، ج: 03، ص: 41.

(4) الغبريني، المصدر السابق، ص ص: 208-209.

من أمرهم ما رأيت الإمساك عنهم، ثم جاء أمير المؤمنين الناصر بعده، وأحسن إليه وعطف عليه⁽¹⁾.
وتوفي ببجاية بين عيد الأضحى والفطر سنة (612هـ / 1215م)⁽²⁾.

15) عبد الله بن عمرو بن محمد بن يوسف الخزرجي: (توفي: 613هـ / 1217م)

نشأ بتلمسان ودرس القراءات العربية، وكان أديبا كاتباً بليغاً، ذهب إلى قرطبة واستقر بها
ودخل في خدمة ولائها الموحدين بالكتابة عندهم، توفي بها سنة (613هـ / 1217م)⁽³⁾.

16) أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرج (توفي: 614هـ / 1218م):

أصله من مرية كان فقيهاً برز في علم الأصول، وحدث في العلوم اللسانية استدعي من قبل
المنصور الموحدى إلى بلاطه في مراكش، وأقام بالمجالس العلمية وقدمه المنصور الموحدى إلى الشورى
والفتوى، ودخل تلمسان وجلس للإقراء به⁽⁴⁾.

17) محمد بن أحمد بن محمد اللخمي أبا عبد الله بن اللّحام التلمساني (توفي: 614هـ / 1217م):

كان شاعراً فاستقدمه يعقوب المنصور إلى مراكش، اخذ عن شيوخ تلمسان ثم رحل إلى فاس
فاخذ عن أبي الحجاج ابن عبد الصمد وغيره ألف العديد من الكتب منها: حجة الحافظين، ومحبة
الواعظين في الوعظ⁽⁵⁾. وكان مولده ونشأته بتلمسان، واخذ علم القراءات عن أبي العباس الأعرج،
وكان كثير التردد بين المغرب الأقصى والأندلس⁽⁶⁾.

18) أحمد البوني (توفي: 622هـ / 1225م):

(1) الغزيرى، المصدر السابق، ص: 210-211.

(2) المصدر نفسه، ص: 208.

(3) الطمار محمد، تلمسان عبر العصور. ص: 78.

(4) المرجع نفسه، ص: 79-80.

(5) بونابى الطاهر، المرجع السابق، ص: 109.

(6) الزركلى، المرجع السابق، ج: 1، ص: 174.

هو احمد بن علي بن يوسف أبو العباس البوني الأصل نسبة إلى بونه بافريقية على الساحل، كان متصوفا مغربيا له مصنفات فعلم الحروف. وتوفي بالقاهرة سنة (622هـ/1225م).⁽¹⁾

من مؤلفاته: مفاتيح أسرار الحروف، ومصابيح أنوار الظروف، شرح المعارف الكبرى، إظهار الرموز وإيداء الكنوز، اللعة النورانية، رسالة السر الكريم، كتاب السر الحكيم.⁽²⁾

19) أبو عبد الله محمد بن عبد الحق اليعفري البطيوي التلمساني توفي: 625هـ/1227م):

ولد سنة 536هـ/1141م نزل بتلمسان لإفادة العلم وإسراع الحديث، تولى قضاءها بعدما تلقى العلم على العديد من الشيوخ منهم ابن رمامة⁽³⁾، وأبي الصبر الفهري، وتوفي بتلمسان سنة (625هـ/1227م).⁽⁴⁾

من مؤلفاته: كتاب المختار الجامع بين الملتقى والاستذكار، كتاب الإقناع بترتيب السماع⁽⁵⁾.

20) محمد بن حماد الصنهاجي (توفي: 628هـ/1230م):

هو محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي، أصله من قرية حمزة من حوز قلعة حماد⁽⁶⁾، وذكر في كتاب عنوان الدراية بأنه اشتهر في تحصيل العلم في علم القرآن وعلم الحديث، وعلم الأصول وعلم النحو، وعلم الأدب والتاريخ وعلم الرقاق والأذكار، وكان له في كل فن من هذه الفنون جفا وافرا وعلما ماهرا⁽⁷⁾. قرأ ببلده بالقلعة وكانت حاضرة علم، وقرأ ببجاية

(1) كحالة عمر رضا، المرجع السابق، ج: 1، ص: 213.

(2) ابن رمامة: ولد بقلعة بني حماد 478هـ/1085م، وانتقل إلى بجاية الجزائر من أجل الدراسة ثم رحل إلى الأندلس لطلب

العلم، التقى الفيلسوف أبي الوليد ابن رشد، تولى القضاء بفاس. ينظر: بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة، ص: 32.

(3) الترغي عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها-تطورها-

قيمتها

العلمية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان، ط1، 1420هـ/1999م، ص: 603.

(4) المرجع نفسه، ص: 625.

(5) كحالة عمر رضا، المرجع السابق، ج: 3، ص: 508.

(6) الغبريني، المصدر السابق، ص: 219.

(7) الزركلي، المرجع السابق، ج: 7، ص: 169.

ولقي بها جلة منهم الشيخ أبي مدين⁽¹⁾، وأخذ عن القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني⁽²⁾، وتولى قضاء الجزيرة الخضراء ثم قضاء سلا سنة 613هـ/1216م، ثم استوطن مراكش وتوفي بها سنة (628هـ/1230م)⁽³⁾.

مؤلفاته: الأعلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الاشبيلي، شرح مقصورة بن درير، ديوان الشعر، أخبار ملوك بني عبيد، النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية⁽⁴⁾.

21) عبد الرحمان بن محمد ابن السّطاح (توفي: 629هـ/1230م)

هو عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر يكنى أبا زيد، وأبا القاسم ويعرف بابن السّطاح من أهل الجزائر وسكن بجاية، ودخل اشبيلية ولقي بها الحسين بن زرقون، وأبا بكر بن طلحة النحوي، وأبا عبد الله محمد بن علي ابن طرفة، فأخذ عنهم وسمع منهم ولقي بمرسية أبا القاسم الطر سوني فقرأ عليه المقامات وغيرها، وحدث عن هؤلاء بها في ذي الحجة من سنة 618هـ/1221م⁽⁵⁾.

ووصفه الغبريني بأنه كان بارع الخط، حسن الضبط، قام بنسخ كتاب الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستدكار بخط يده، استوطن بجاية وأقرأ بها، وتخطط بالعدالة وناب عن القضاة في الأنكحة، وكان فاضلا خيرا مرضيا⁽⁶⁾، وكان معيناً بعقد الشروط مقدما في معرفته بها وقعد لذلك ببجاية.

تلاميذه: أبو عبد الله الصفوي قرأ عليه في سنة ثلاث وعشرين ثم في سنة ست وعشرون بعدها، وأبي عبد الله بن الطراز الغرناطي وسماه عبد الله⁽⁷⁾.

(1) الغبريني، المصدر السابق، ص: 219.

(2) الزركلي، المرجع السابق، ج: 6، ص: 280.

(3) كحالة عمر رضا، المرجع السابق، ج: 3، ص: 508.

(4) ابن الآبار، المصدر السابق، ج: 3، ص: 55.

(5) الغبريني، المصدر السابق، ص: 264-263.

(6) ابن الآبار، المصدر السابق، ج: 3، ص: 56.

(7) المصدر نفسه، ص: 156-157.

22) أبو عبد الله محمد بن الطائي الحاتمي (560-632هـ/1164-1234م):

هو أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي المشهور بسيدي محي الدين ابن العربي ولد سنة 560هـ/1164م، كان متصوفاً يعرف بابن سراقة سكن اشبيلية، وقام بتأليف العديد من المؤلفات كلها في علم التصوف، رحل إلى العدو ودخل بجاية في رمضان سنة 597هـ/1200م⁽¹⁾.

23) أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي (توفي: 642هـ/1244م):

أصله من شاطبة كان من أهل العلم والفضل، والدين مستبحراً متفنناً عالماً بالفقه، وأصوله وعلم العربية والنحو واللغة، والأدب كان له تقدم في علم المنطق، توفي سنة (642هـ/1244م). وكان قبره بجومة خارج بجاية. من مؤلفاته: كتاب المفصل وكتاب الاختصار⁽²⁾.

24) محمد بن منداس (توفي: 643هـ/1245م):

هو أبو عبد الله محمد بن قاسم بن منداس، ولد 557هـ/1162م بمدينة الجزائر، وفيها نشأ وتعلم، ثم رحل إلى قابس بتونس فأخذ عن شيخها بالقاسم بن محكان، ثم عاد إلى مسقط رأسه وعكف على تدريس علوم الحديث إلى أن توفي سنة (643هـ/1245م)⁽³⁾.

25) أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملياني (توفي: 644هـ/1246م):

رحل إلى المشرق ولقي الأفاضل ثم رجع إلى المغرب وسكن بجاية وأقرأ بها وأسمع وله علم العربية والفقه وأصول الدين، وحظ من التصوف ونصيب من العبادة، وكان له في التلقين تقدماً ونظر لم يكن لغيره، وكان إماماً في الفقه، توفي سنة (644هـ/1246م) ودفن بمليانة⁽⁴⁾.

(1) الغبريني، المصدر السابق، ص: 193.

(2) المصدر نفسه، ص: 67.

(3) المصدر نفسه، ص: 188-189.

(4) الطمار محمد، تلمسان عبر العصور، ص: 78-79.

26) عبد الله بن محمد الفهري شرف الدين أبو محمد التلمساني (567-644هـ / 1171-1246م):

ولد بتلمسان سنة 567هـ / 1171م وقرأ بها ثم رحل إلى القاهرة واستقر بها، كان فقيها أصوليا. من مؤلفاته: شرح التنبيه لأبي إسحاق شيرازي في فروع الفقه الشافعي⁽¹⁾.

27) أحمد التيفاشي: (580هـ-651هـ / 1184م-1253م).

أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون شرف الدين القيسي التيفاشي، عالم بالحجارة الكريمة، غزير العلم بالأدب وغيره من أهل تيفاش (من قرى قفصه بإفريقية) ولد بها وتعلم بمصر، وولي القضاء ببلده، ثم عاد إلى القاهرة، وتوفي بها سنة (651هـ/1253م).

من مؤلفاته: أزهار الأفكار في جواهر الأحجار والأحجار التي توجد في خزائن الملوك، ذخائر الرؤساء ومنتعة الأسماع في علم السماع⁽²⁾.

28) أبو زكرياء يحيى بن عباس بن أحمد بن خليفة القيسي: ت 652هـ / 1254م.

من أهل قسنطينة رحل إلى الأندلس، تلقى العلم على يد العديد من الشيوخ: أبي عبد الله بن نوح، وابن الخطاب بن واجب، وأبي الحسين بن زرقون، فكتب الإجازات، وأباح الرواية عنه والإسناد، كان يذكر في مؤلفاته برنامج كبير ضم فيه شيوخه وما سمعه عليهم، وتوفي ببجاية عام (652هـ/1254م)⁽³⁾.

29) ابن المنصور أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر القلعي (توفي: 670هـ / 1271م):

كان فقيها وفرضيا ورياضيا تصدى لتدريس مادة الحساب والفرائض في بجاية، وكذلك الفقه والتوثيق، توفي عام (670هـ/1271م)⁽⁴⁾.

(1) الزركلي، المرجع السابق. ج: 1، ص: 273.

(2) الترغي عبد الله المرابط، المرجع السابق، ص: 108.

(3) بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. ص: 37.

(4) كحالة عمر رضا، المرجع السابق، ج: 3، ص: 228.

30) أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون القلعي (توفي: 673هـ / 1274م):

هو محمد بن الحسين بن علي بن ميمون التميمي القلعي (أبو عبد الله) أديب نحوي، لغوي، شاعر⁽¹⁾، من قلعة بني حماد، كان جدّه ميمون قاضيا بها⁽²⁾.

نشأ بالجزائر وانتقل إلى بجاية⁽³⁾ مستوطنا فقراً بها وبرع بها، ولقي جملة من الشيوخ من بينهم: أبو الحسن الحرالي، الفقيه أبو الحسن بن أبي نصر، الفقيه أبو بكر بن المحرز، الفقيه أبو المطرف بن عميرة، أبو زيد السطاح، أبي عبد الله ابن منداس قرأ عليه بالجزائر.

قال الغبريني عنه كان متقدما في علم العربية محكما لفنونها الثلاثة نحو ولغة وأدب، وكان له درس يحضره من الطلبة فضلاءهم، ونبهاءهم وتجري فيه المذكرات المختلفة في التفسير والحديث، وكان رحمه الله قويا في علم التصريف ومجبا في التعليل، وكان جاريا فيه على سنن أبي الفتح ابن حني⁽⁴⁾، وكان كثير التلامذة، والأصحاب قرأ عليه جميع الكتب النحوية واللغوية والأدبية، ويقوم على جميعها أحسن قيام، وهو أفضل من لقيت في علم العربية، لزمته عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام، واستمتعت به كثيرا واستفدت منه، قرأت عليه الإيضاح من فاتحته إلى خاتمته⁽⁵⁾.

مؤلفاته: الموضح في علم العربية، حذق العيون في تنقيح القانون، نشر الخفي في مشكلات أبي علي في النحو⁽⁶⁾.

ذكر الغبريني أنه أكثر الناس شعرا، بدأ بتدوين شعره عام 630هـ/1232م، ففي كل عام يقول منه ما يكتب في ديوان، وعاش بعد شروعه في تدوين شعره ثلاث وأربعين سنة، ولو تمّ له

(1) الغبريني، المصدر السابق، ص: 67.

(2) كحالة عمر رضا، المرجع السابق، ج: 3، ص: 228.

(3) الغبريني، المصدر السابق، ص: 67.

(4) المصدر نفسه، ص: 68.

(5) كحالة عمر رضا، المرجع السابق، ج: 3، ص: 228.

(6) الغبريني، المصدر السابق، ص: 72.

تدوينه لكان في مجلدات كثيرة، ولكن بأيدي الناس منه كثير، وتواشيعه حسنة جدًا⁽¹⁾، ففي إحدى قصائده مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ويتضح ذلك من خلال قوله:

أَمِنْ أَجْلِ أَنْ بَانُوا فُؤَادَكَ مُغْرَمٌ وَقَلْبِكَ خَفَاقٌ وَدَمْعُكَ مُسْجَمٌ.

31) أبو محمد عبد السلام الزواوي (589-681هـ / 1193-1282م):

هو زين الدين أبو محمد عبد السلام بن علي بن عمر المالكي الزواوي، وولد ببجاية برع في الفقه وعلوم القرآن، اشتهر بالزهد والإخلاص ثم رحل إلى مصر، وتلقى العلم على يد العديد من الشيوخ منهم: أبي القاسم بن عيسى الذي أخذ عنه الروايات، أبي الحسن السخاوي الذي أخذ عنه القراءات، أبو العز محمد بن عبد الخالق.

ومن تلاميذه: إبراهيم بن فلاح الإسكندري والشيخ الحسين ابن يوسف الكفري.

مؤلفاته: كتاب في عدد الآي، كتاب التنبهات على ما يخفى من الوقوف.

توفي بدمشق ليلة الثلاثاء من شهر رجب سنة (581هـ/1285م) عن عمر 83 سنة، وقيل

92 سنة⁽²⁾.

يتضح لنا من خلال ما سبق أن بلاد المغرب الأوسط كانت محط أنظار العديد من العلماء نتيجة اهتمام حكامها وتشجيعهم للعلم والعلماء، حيث تميزت كل حاضرة عن الأخرى ببروز ثلة من الشخصيات التي ذاع صيتهم في كثير من العلوم وعلى رأسهم الشيخ أبو مدين شعيب، بالإضافة إلى عبد الحق الاشبيلي وأبو عبد الله محمد الوهراني وابن الياسمين.

وخلاصة الفصل، أن قيام الدولة الموحدية كان على أساس ديني عقائدي ويتضح ذلك من خلال رحلة ابن تومرت التي كان هدفها الأساسي هو طلب العلم وتشجيعه، وسير خلفاءه على نفس منهجه أدى إلى ظهور العديد من العلوم النقلية كعلم القراءات وعلم الحديث والفقه وغيرها، بالإضافة إلى العلوم العقلية كعلم التاريخ والجغرافيا والطب والفلسفة وغيرها من العلوم، فبرز في كل

(1) بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. ص: 36.

(2) الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، المرجع السابق، ص: 78.

علم من هذه العلوم العديد من العلماء في حواضر المغرب الأوسط، وقاموا بتأليف العديد من الكتب، وتخرج ثلة من الطلبة والعلماء، ومن بين العلماء الذين اشتهروا في هذه الفترة: الشيخ أبي مدين شعيب، ويوسف الوجداني وغيرهم.

خاتمة

من خلال ما درسناه سابقا يمكن القول أنّ المؤرخين والرحالة الجغرافيين اختلفوا في تحديد مدلول لفظ المغرب، فهناك من يرجع هذا اللفظ نسبة إلى غروب الشمس وأيضا اختلفوا في ضبط حدوده الجغرافية حيث قسموا هذه المنطقة إلى ثلاثة مناطق وهي المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، فالمغرب الأوسط سمي بذلك لتوسطه المغربين الأدنى والأقصى، فهذا الأخير تعاقب على حكمه العديد من الدويلات منها: الدولة الرستمية بتيهت، ثم ظهرت الدولة الحمادية ببجاية، والمرابطية بتلمسان، حيث قامت بتأسيس العديد من المنشآت الدينية والعمرانية كالمساجد وشجعتا العلم والعلماء، لكن رغم هذه الإنجازات إلا أنّ ضعف الحكام أدى إلى سقوطهما وظهور دولة تسعى لتوحيد المغرب الإسلامي ألاً وهي الدولة الموحدية التي تعدّ الوريث الشرعي للدولة الحمادية سواء من جانب العلوم والعلماء.

فكلّ عهد تميز عن غيره خاصة في مجال الثقافة التي تعدّ العصب الحيوي لأيّ دولة، لكنّ العهد الموحيدي شهد ذروة الازدهار نتيجة عدة عوامل منها: تدهور الأوضاع في العالم الإسلامي خاصة الخلافة العباسية بالمشرق، ودولة المرابطين بالمغرب وهذا ما لفت انتباه مؤسس الفكر المهدوي ابن تومرت الذي قام بثورة عنيفة ضد ظاهرة الفساد والمنكر من خلال تطلعه لتأسيس خلافة توحد العالم الإسلامي تحت لواء الموحدين بعد تلقيه جملة من العلوم مثل: علم الحديث، وأصول الفقه، والعمل على تلقينها، وسار خلفاءه من بعده على نفس منهجه في حب العلم، والعمل على تشجيعه، فالدولة المؤمنية كان لها دور فعال في ذلك من خلال: مجانية التعليم وإجباريته، ومنح مقادير خاصة للعلماء، بالإضافة إلى ازدهار صناعة الورق، والاهتمام بالكتابة والخط، فكل هذا دفع إلى تأليف العديد من الكتب وعلى رأسها كتاب أعز ما يطلب، دون أن ننسى تحفيزهم للعلوم التي لم تكن رائجة خاصة في العهد المرابطين كعلم الكلام، والفلسفة.

فتشجيع العلم والمعرفة من قبل حكام دولة موحدين أدى إلى ظهور حواضر بالمغرب الأوسط منافسة لحواضر أخرى مثل: مراكش، فاس، بغداد، حيث شهدت تطور في كل العلوم وشيدت بها العديد من الإنجازات، ومن بين هذه الحواضر التي لمعت في سماء دولة الموحدين نجد حاضرة تلمسان

التي عقدت بها مجالس العلم والمناظرات من قبل عبد المؤمن بن علي الذي دخلها سنة 534هـ/1139م، وشيد بها مسجد الأعظم، أما تيهرت فقد نشط بها حفظ القرآن، واشتهرت بجاية التي فتحها سنة 531هـ/1136م بمسجد بني بملالة عرف باسم المهدي ابن تومرت، وقسنطينة الهواة نبغ فيها الشاعر أبي علي الحسن ابن فكون القسنطيني.

فبروز مكانة هذه الحواضر بالمغرب الأوسط كان نتيجة ما أسس بها من كتاب ومساجد وزوايا ومدارس ومكتبات، فالكتاب انتشر بكثرة في بجاية وهو يمثل المرحلة الأولى للتعليم ثم يليه المسجد للمدرسة والتناظر في الفقه والحديث، والقرآن ومن بينها مسجد الريحانة، مسجد أبي زكرياء يحي الزواوي، فبظهور الرباط واكب عصر ظهور المساجد والكتاتيب وتمثل دوره في حراسة الثغور والجهاد وتلاوة القرآن مثل: رباط ملالة ببجاية، ورابطة العباد بتلمسان، لكن في القرن 7هـ/13م انفصلت عنه الزاوية، وأصبحت وحدة مستقلة عنه، وهي تعد مرحلة وسطى بين الكتاب والمدرسة مثل: زاوية أبي زكرياء الزواوي ببجاية فاتساع العلوم اقترن بظهور ما يسمى بالمدرسة خاصة في عهد عبد المؤمن بن علي وحفيده يعقوب المنصور فأسس ببجاية وتلمسان عدة مدارس منها: مدرسة العباد بتلمسان، إضافة إلى ذلك تأسيس مكتبات لتخزين الكتب.

فتطورت الحركة الفكرية والثقافية عهد الموحدين فقد شملت كل العلوم التي كانت من قبل مع الإتيان بالجديد فحظي علم القراءات بعناية كبيرة من خلال الاهتمام بالقرآن، وكذلك علم الحديث وعلم التفسير من خلال الاستعانة بمحدثين ومفسرين أندلسيين، كما برزت مكانة علم الكلام، وعلم اللغة والأدب.

فلم يقتصر تشجيع الموحدين على العلوم النقلية فقط بل تعداه إلى العلوم النقلية كعلم التاريخ الذي ساهم في تنشيط حركة التأليف، وعلم الجغرافيا، وعلم الفلك والطب والصيدلة، والرياضيات، فنبغ في هذه العلوم عدة علماء فهؤلاء لم يقتصر بروزهم في علم فقط بل في علمين أو أكثر فهناك من كان محدثا وفقهيا، ومفسرا ولغويا، وفيلسوبا له تأليف في هذه العلوم سواء نقلية أم عقلية ومن بينهم نجد أبي مدين شعيب، يوسف الورجلاني.

ملاحق

الملحق رقم 01: ضريح أبي مدين شعيب.



نقلا عن المرجع السابق، ص 60.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم برواية ورش.

أ- المصادر التاريخية:

1. ابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلاة. تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1415هـ-1995م، ج:4.
2. ابن الأحرر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان. تق وتح وتع: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، ط1، 1421هـ-2000م.
3. ابن الأحرر أبي الوليد إسماعيل (ت807هـ)، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن هو كتاب نشر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان. تح: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ-1987 م.
4. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، د. د. ن، د. ط، د. ت. ن.
5. البيهقي أبي بكر الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب. تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د. ط، 1971م.
6. // ، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د. ط، 1971م.
7. التادلي أبي يعقوب يوسف بن يحيى ابن زيات (ت617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي. تح: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط ، ط2، 1997م.
8. ابن تومرت محمد مهدي الموحدين، أعز ما يطلب. تح: عمار طالي، عاصمة الثقافة العربية الجزائر، د.ط، 2007م.
9. ابن الخطيب لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي(ت776هـ)، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق

- بذلك من الكلام.تح: سعيد كصراوي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،
1424هـ-2002م، ج: 1.
10. // ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. تونس، ط1، د. ت. ن.
11. // ، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال
الأعلام. تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، د. ط،
1964م.
12. ابن خلدون عبد الرحمان (732- 808هـ/1332-1406م)، ديوان المبتدأ والخبر في
تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر تاريخ ابن خلدون. مر: سهيل
زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ-2000م، ج: 6.
13. // ، المقدمة. تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط1، 1425هـ-
2004م، ج: 2.
14. ابن خلدون أبي زكرياء يحيى أبي بكر محمد بن محمد بن أحمد ابن الحسن، بغية الرواد في ذكر
ملوك من بني عبد الواد. مطبعة بيرفونطانا الشرقية، الجزائر، د. ط، 1321هـ-1903م.
15. ابن خليكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608-681هـ)، وفيات
الأعيان وأنباء الزمان. تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت. ن، مج: 1.
16. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ
مدينة فاس. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د. ط، 1972م.
17. الزركشي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. تح: محمد
ماصور، المكتبة العتيقة، تونس، د. ط، 1956م.
18. أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم. تح وتع: إسماعيل العربي، المكتبة
الوطنية الجزائرية، د. ط، 1979م.
19. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب. تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة،
ط4، د. ت. ن، ج: 1.

20. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تح: ج س كولان، إيفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج: 1.
21. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (644-714هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (644-714هـ). تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، أبريل 1979م.
22. ابن القطان المراكشي أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الله الكتامي ق7هـ/13م، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان. تح: محمود علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
23. ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد الخطيب (ت810هـ/1407-1408م)، أنس الفقير وعز الحقيير. المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، د.ط، د.ت. ن.
24. القيرواني أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني، المؤنس في أخبار الإفريقية وتونس. المطبعة الدولية التونسية بحضارتها المحمية، ط1، 1286م.
25. مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار. د. د. ن، د. ط، د. ت. ن.
26. مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م.
27. المراكشي عبد الواحد (ت647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين). تح: محمد سعيد العريان، د. د. ن، د. ط، د. ت. ن.
28. // ، وثائق المرابطين والموحدين. تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، ط1، 1998م.
29. ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني، البستان في ذكر الأخبار والعلماء بتلمسان. طبع بالمطبعة الثعالبية، د. د. ن، د. ط، 1326هـ-1908م.
30. المقري نفح الطيب أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت. ن.

31. ابن منظور الإفريقي المصري أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط1، 1863م، مج: 6-7-13.
32. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب. تح: المجيد ترجيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت. ن، ج: 24.
- ب-المصادر الجغرافية:**
33. الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني ق6هـ/12م، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية، د.د.ن، د.ط، د.ت.ن، مج: 1.
34. البكري أبي عبيد(ت 487هـ)،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.ن.
35. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان. دار صادر، بيروت، د.ط، 1397هـ-1977م، مج: 1-2-4-5.
36. ابن حوقل أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض. منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت.ن.
37. // ، المسالك والممالك للمفاوز والمهالك. طبع بمدينة ليدن المحروسة، د.ط، 1872م.
38. الزهري أبي بكر أبي عبد الله محمد، كتاب الجغرافية وما ذكرته العلماء من العمارة وما في كل جزء من الغرائب و العجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ.تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ط، د.ت.ن.
39. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر(ت732هـ)، تقويم البلدان. دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.ن.
40. كريخال مرمول، إفريقيا. تر: محمد حجي ومحمد زبير، ومحمد الأخضر وآخرون، دار النشر للمعرفة، الرباط، د.ط، 1989م، ج: 3.

41. الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا. تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج:1-2.
42. اليعقوبي، البلدان. د.د.ن، د.ط، د.ت.ن.

المراجع

43. أسكان الحسين، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1-9هـ / 7-15م). المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، د.ط، 2004م.
44. أمين أحمد، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، د.ط، د.ت.ن.
45. الباروني سليمان باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية. د.د.ن، د.ط، د.ت.ن.
46. بن بنسباع محمد، السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين. تق: أحمد بن عبود، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، د.ط، د.ت.ن.
47. بن قرية صالح، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين. المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1991م.
48. بوروية رشيد، الدولة الحماديو تاريخها وحضارتها. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1397هـ-1977م.
49. 50- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995م، ج:1.
50. // ، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطه. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1999م، ج:1.
51. // ، الموجز في تاريخ الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2007م، ج:1.

52. بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ / 12-13م نشأته- تياراته- دوره الإجتماعي و الثقافي والفكري والسياسي. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د.ط، 2004م
53. الترغي عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها- تطورها- قيمتها العلمية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ط1، 1420هـ-1999م
54. التليسي بشير رمضان، الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن(4هـ/10م). دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
55. التليسي بشير رمضان والذويب جمال هاشم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2004م
56. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ المدن الثلاثة (الجزائر، المدينة، مليانة). دار الأمة للنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2007م.
57. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام. دار الأمة، الجزائر، د.ط، 2010م، ج: 2.
58. حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1987م، ج: 1.
59. // ، المغرب عبر التاريخ من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، د.ط، 1420هـ، 2000م، ج: 1.
60. // ، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم من القرن9هـ/15م العلوم الإنسانية والعقلية. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1421هـ/2000م، ج: 1-2
61. حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي في العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والأندلس(232-447هـ/847-1055م). دار الجيل ، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1416هـ-1996م، ج: 3.

62. // ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجماعي في العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس (447-656هـ / 1055-1258م). دار الجليل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1416هـ-1996م، ج: 4.
63. حسن حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين). مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.
64. الحسن عيسى، موسوعة الحضارات تاريخ-لغات-أعلام-قيم حضارية-مدن عادات وتقاليد. الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2009م.
65. حسنين إبراهيم محمد، تاريخ الإسلام في المغرب العربي. دار التعليم الجامعي للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ط، 2015م.
66. حسيبة مصطفى، المعجم الفلسفي. دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 1433هـ-2012م
67. الدراجي بوزياني، أدباء وشعراء من تلمسان. دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.ن.
68. روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من ق 10 إلى ق12م). دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ج: 2.
69. الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط15، 2002م، ج: 1/3/4/6/7.
70. زروق محمد، دراسات في تاريخ المغرب إفريقيا الشرق. الدار البيضاء، ط1، 1991م.
71. زناتي أنور محمود، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية. دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1434هـ-2013م
72. سامعي إسماعيل، معالم الحضارة الإسلامية مدخل نظم علوم وزراعة وصناعة وعمارة وفنون-تأثيرات. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2007م.

73. سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب منذ الفتح العربي حتى سقوط غرناطة(20-798هـ)(640-1492م). دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2003، 1م.
74. السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تح وت: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ط، 1954م، ج: 2.
75. السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.ن.
76. // ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي. دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1972م، ج: 2.
77. // ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 2011م
78. شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان. ديوان مطبوعات الجامعة للسياحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 2011م، ج: 1
79. شهاب أحمد نهلة، تاريخ المغرب العربي. دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ-2010م.
80. شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا/ تونس/ الجزائر/ المغرب). مكتبة الإنجلز المصرية، القاهرة، ط1، 1977م.
81. طمار محمد، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2007م.
82. // ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة. ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، ماي 2010م.
83. طه جمال أحمد، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448هـ-1056م إلى 668هـ-1269م دراسة سياسية وحضارية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ط، 2001م

84. العبادي أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1425هـ-2005م.
85. عباس بن يوسف، عبد المؤمن موحد بلاد المغرب العربي. موفم للنشر، د.ط، 2003م.
86. عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م.
87. علاوي محمد الطاهر، العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني. دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2011م.
88. عبد العزيز محمد عادل، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1987م.
89. عويس عبد الحليم، دولة بني حماد (صفحة رائعة من تاريخ الجزائر). دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1411هـ-1991م.
90. أبو عيبة طه عبد المقصور عبد الحميد، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية نشأتها في المشرق إنتقالها إلى الأندلس. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2004م، مج: 2.
91. الغنای مراجع عقيلة، قيام دولة الموحدين. منشورات جامعة فاريوس بنغازي، ط1، 1988م، ط2، 2008م.
92. الفاروقي إسماعيل راجي والفاروقي لويس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية. تر: عبد الواحد لؤلؤ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، ط1، 1419هـ-1998م.
93. فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م-1962م. دار العلوم، عنابة، د.ط، 2002م.
94. فخري خليل نجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1432هـ-2011م.

95. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس. المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، د.ط، د.ت.ن.
96. فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية إجتماعية ثقافية. موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2002م، ج: 1.
97. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ج: 2.
98. قرقوتي حنان، في الحضارة الإسلامية من العلوم عند المسلمين. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
99. قصي حسين، الحضارة العربية في العصرين المملوكي والعثماني. المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، بنزرت، ط1، 2004م.
100. القيصي ناهض عبد الرزاق دفتر، ومضات من الحضارة العربية الإسلامية. دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1425هـ-2005م.
101. كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مفضي الكتب العربية. مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.ن، ج: 1-3.
102. مؤنس حسين، المساجد. عالم المعرفة، د.د.ن، د.ط، يناير 1981م.
103. // ، ابن بطوطة ورحلاته. دار المعارف، الإسكندرية، د.ط، 2003م
104. محمود عبد الحليم، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله. دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1985م.
105. محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 2004م.
106. // ، تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا). مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 2006م
107. المنوني محمد، حضارة الموحدين. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989م

108. // ، تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، جامعة محمد الخامس، د.ط، 1996م.
109. موسى عز الدين عمر، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماته ونظمه. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م.
110. المليي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث. دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، د.ت.ن، ج: 2.
111. // ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث. دار الكتاب العربي، د.ط، 2010م، ج: 3.
112. النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت أبو عبد الله المغربي السوسي ت524هـ-1129م حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وآثاره بالمغرب. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.
113. // ، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري). المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، تونس، 1404هـ-1908م، ط2، 1415هـ-1995م.
114. النعيمات سلامة صالح وآخرون، الحضارة العربية الإسلامية. الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، مصر، د.ط، 2008م.

المقالات والدوريات:

115. بختاوي قاسمي، التعليم بالكتاب في المغرب الأوسط أيام حكم بني عبد الواد (633 - 681هـ) (1235-1554م). دورية كان التاريخية، ع: 12، يونيو 2011م.
116. جبار مختار، مجلة أسس المكون الثقافي للحمايين. معهد اللغة العربية وآدابها جامعة وهران، مجلة محكمة تعني بقضايا التراث الجزائري، ع: 1، جوان 1997م.

117. الحمدي أحمد ، الوصف المجالي. جامعة ابن خلدون تيارت ، المجلة الخلدونية، عدد خاص، أكتوبر 2009م.

118. شقرون جيلالي، تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط. قسم تاريخ جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، مجلة الفقه والقانون، د.ت.ن.

الرسائل الجامعية:

119. راجح جميلة، إسهامات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس النحوي. أطروحة دكتوراه بكلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، تيزي وزو، جامعة ميلود معمري، 2015م.

120. شقدان بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العصر الزياني (633-962هـ) (1235-1555م). رسالة ماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، 1428هـ-2002م.

121. عبان عبد الرحمان، الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين دراسة في موضوعاته وبنيته "ابن معطي" نموذجاً. مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص الأدب الجزائري القديم، ورقلة، جامعة قاصدي مرباح، 1427-1428هـ / 2007-2008م.

122. عشي علي، المغرب الأوسط في عهد الموحدين دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534هـ/1139م إلى 633هـ/1235م). مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، باتنة جامعة الحاج لخضر، 1433-1434هـ/2011-2012م

123. لونس فريدة، الدور السياسي للتعليم في دولة الموحدين (524-667هـ/1030-1270م). مذكرة الماجستير في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي، بوزريعة، المدرسة العليا للأساتذة، 2011-2012م.

124. نجار ليلي أحمد، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي دراسة تاريخية وحضارية (580هـ-595هـ/1184-1198م). رسالة دكتوراه لكلية الشريعة والمراسلات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1409هـ/1919م.

فهرس

الموضوعات

أ-و	مقدمة	09
	مدخل	09
	الفصل الأول: واقع النشاط الثقافي والفكري للمغرب الأوسط زمن الموحدين.	
	المبحث الأول: عوامل ازدهار الحركة الثقافية والفكرية بالمغرب الأوسط	20
	المبحث الثاني: الحواضر العلمية بالمغرب الأوسط الموحدى	30
1- تلمسان		30
2- وهران		37
3- جزائر بني مرغنة		38
4- تاهرت		40
5- بجاية		42
6- بونة		45
7- قسنطينة		47
8- وارجلان		49
	المبحث الثالث: المراكز التعليمية	50
أ- الكتاب		50
ب- المساجد		53
ج- الرباط		57
د- الزاوية		60
هـ- المدارس		61
و- المكتبات		63
	الفصل الثاني: أهم العلوم والعلماء بالمغرب الأوسط الموحدى.	
	المبحث الأول: العلوم النقلية	67

67	1- علم القراءات.....
69	2- علم التفسير.....
70	3- علم الحديث.....
73	4- علم الفقه.....
73	5- علم الكلام.....
75	6- علم اللغة والأدب.....
78	المبحث الثاني: العلوم العقلية.....
78	1- علم التاريخ.....
79	2- علم الجغرافيا.....
81	3- علم الفلك.....
82	4- الفلسفة.....
83	5- الطب والصيدلة.....
86	6- الرياضيات.....
87	المبحث الثالث: العلماء.....
104	خاتمة.....
108	قائمة الملاحق.....
110	قائمة المصادر والمراجع.....
123	فهرس الموضوعات.....